

وَحَمْدُ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

محمد حسن عابد

ملزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب وطبعها بالجمايزت ٣٩١٩٣٧٧
١٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
الطبعة الممفوعة
٦ سكة الشابوري بالحلية الجديدة

رحمة الله للعالمين

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

محمد حسن عبد

الناشر
مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة : ١٩٢٨ : ٣٩

مكتبة الآداب
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إهداء

الى كل من استخلفه الله في قطرة من بحار ملكه فبغى ،
وظلم ، وفجر ...

أهدى اليه سيرة من من الله عليه بنعيم الدنيا
والآخرة .. فرحم ، وصبر ، وشكر ...

محمد حسن عبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

للعالم الجليل الدكتور عبد الرشيد ضقر
امام وخطيب مسجد صلاح الدين
وأمين الدعوة بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر الشريف

ان البشرية المؤرقة المضاجع السيالة المدامع ، المتوترة
الأعصاب ، الممزقة النفوس في أمس الحاجة الى مثل أعلى يهتدى
روعها ويلهم شعثها ويرشد خطاها ويقودها الى الغايات الكبرى
ويفظمها عن سفساف الأمور ودنايا المقاصد ويوظف مواهبها
في البناء وطاقتها في الاصلاح ويقودها الى المحارب ويجندنها
لرب الوجود ويسوقها الى حراسة القيم ومسح القذى عن
المبادئ .

ولن تجد البشرية في القارات كلها افساها تجسدت فيه
المثل وتحركت به القيم وشمخ على يده البناء وشرفت به الكلمة
واستعلت فيه الايجابية مثل سيد التاريخ نبي الاسلام محمد
صلى الله عليه وسلم رائد الدعوة العالمية والخطرة الانسانية
والخطوة الربانية .

انى أشعر - بعد بحث - بافتقار الانسان في هذا العصر المائج
الى منهجه الالهى وسلوكه الراشد وخلق العظم ومنازته الوضيئة
ومعالمه اللافحة ومسلكه المستقيم حتى يحيا من موات ويتكاف
بعد شتات •

ان الحروب أهلك الحرث والنسل ، والأمراض أهكت
القوى ، والسليبات لفت العالم بشتائها السود ، والمضالك عشت
في البيوت والاختلاسات خربت الأوطان والجبايرة أذلت الشعوب
والطواغيت نكست الرعوس ولا تستنقذ الانسانية من هذا
الويل الداهم الا بتطلعها الى المثل العليا في شخصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسيرها وراءه واقتفائها أثره وامتثالها
أمره •

ولقد ألف الأخ الأستاذ محمد حسن عبد الله كتابا قيما
عن سيرته صلى الله عليه وسلم بغية تنمية العقل وتغذية الوجدان
وترشيد السلوك وترطيب الجفاف وأعاش الذليل لعل فيه اليقظة
للأحاسيس الغافية والوقدة للنبضات الهامدة •

ان هذا الكتاب كوردة فاضرة بين أشواك علمانية لاذعة
وكواحة وارفة الظلال وسط صحارى ماسوية قاحلة ، وهذه
باكورة ترى بعدها الأراهير النضاجة ان شاء الله •
أعج الى الله أن يتقبله منه وينفع به ويجعله في موازينه
ويبيض به وجهه ويرفع درجته • انه نعم المولى ونعم النصير •
الدكتور عبد الرشيد صقر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على
رسول الله المبعوث رحمة الله للعالمين .

وبعد . . .

تمضى السنين والأيام ، وتتعاقب الأمم والأجيال ، وتختلف
على الناس حضارات وفلسفات ومذاهب ونظريات اجتماعية
واقتصادية وسياسية ، وتبقى الحقيقة الخالدة التي تعلن للدنيا
آفاء الليل وأطراف النهار أن خير دين أتزل على خير رسول أرسل
لخير أمة أخرجت للناس إنما هو دين الاسلام .

الله دين الرحمة . . . رحم الله به الكون كله : انسه وجنه ،
زرعه وضرعه ، دوابه وهوامه وطيره كما بينت ذلك آياته الكريمة
في قوله تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ولم يكن ليحمل هذه الرسالة إلا من أعده الله لها خلقا ،
وخلقها ، وحكمته ، ورحمة وسموا . . .

ولم يكن ليهدى الناس الى عبادة الرحمن الرحيم الا من
حمل بين جنبيه قلبا ثريا بآيات الرحمة ، ومعانى الفضل والاحسان
والبر والتقوى ، والحب والايمان •

ولقد فال كل من فى الوجود حفظه من رحمته صلى الله
عليه وسلم ... وتمثل فيه قول الله تعالى :
﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ •

ولقد تناولت فى هذا الكتاب قطرة من غيث الرحمة
التي تغمدت العالمين برسائله السامية ، ودعوته المخلصة وجهاده
البصالح •••

أما عن المقدمة التي تفضل بها العالم الجليل الدكتور
عبد الرشيد صقر امام وخطيب مسجد صلاح الدين - بالقاهرة -
وأستاذ الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف
والذى نذر حياته ، وعلمه للدعوة الى الله ، وانفط في سبيلها متاع
الدنيا الزائل ...

فالله نسأل أن يجازيه عن الاسلام والمسلمين خيرا فى الدنيا
والآخرة ••• وأن يتغمده برحمته ويحسن ثوابه يوم لقائه
﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ •
ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه •••••
انه نعم المولى ونعم النصير •

محمد حسن عبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك ربى ما أرحمك :

سبحانك ربى ۞ وسعت كل شيء رحمة وعظما ۞ فأنعمت
على التائبين بجميل عفوك ، ومننت على المنيين يواسع رحمتك ،
فأطلقت أرواحهم تهيم فى ساح الرضا ، تسبح بحمدك ، وتشنى
عليك بما أنت أهله ، وتمجد جاهك وسلطانك .

سبحانك ربى ما من شيء الا يسبح بحمدك ، ويرجو
رحمتك ، ويخشى عذابك . وكل من فى الوجود يدعوك لتتعم
عليه . بحسن الجزاء يوم لقاءك ، وليكون مع زمرة المتقين
كما بينت ربنا فى كتابك الكريم وقلت وقولك الحق :

۞ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا . ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا . لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا ۞ (١)

ربنا بظهر الغيب ما أكرمك ؟!!!

لقد وسعتنا رحمتك ربنا قبل أن تمن علينا بالحياة .
فأشهدتنا على أنفسنا فشهدنا .

(١) مريم : ٨٥ - ٨٧

شهدنا بأنك وحدك الباريء ، المصور ، وما سواك وهم باطل • وأقررنا بأنك وحدك الباقي ، وما عداك ظل زائل • فافطلقت أرواحنا تجتاز آفاق الزمان لا نترك بك أحدا ، ونقر بك فردا صمدا كما قلت ربنا في كتابك الكريم وقولك الحق :

﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين • أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الآيات ، ولعلمهم يرجعون ﴾ (٢) •

وفي الظلمات ربنا ما الطفك ؟

لقد أنشأتنا ربنا من الأرض ... ولطفت بنا ونحن أجنة في بطون أمهاتنا • فأطعمتنا • وسقيتنا • ولا أحد غيرك في الظلمات يرعانا • فأنت وحدك أعلم بنا من أنفسنا • فما الطفك • وما أبدع خلقك • وأجل شأئك • قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين • ثم جعلناه نطفه في قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٣) •

(٢) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٤

(٣) المؤمنون : ١٢ - ١٤

في السماء وفي الأرض آيات رحمتك :

ان آيات رحمتك ربنا تتجلى في أرضك وفي سمائك ...
 فالأرض ذلتها .. وسخرتها لنا ... فمشى في مناكبها ...
 وتأكل من رزقها .. والسماء زينتها بالنجوم .. والكواكب ..
 وأنزلت لنا منها ماء طهورا ... فأحييت به الأرض بعد موتها ...
 فأسقيتنا والمخلوقات منه شرابا طهورا ... ولولا رحمتك ...
 لا استحالت الحياة في أرض جدداء لا نبات فيها ولا ماء ...
 ولولا رحمتك لكافت قاعا صنفصفا لا تثبت كلاً ولا عشباً ...

قال تعالى : ﴿ أفرايتم ما تحرثون • أتتم تزرعوه أم نحن
 الزارعون • لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكهون • انا لمغرمون
 بل نحن محرومون • أفرايتم الماء الذي تشربون • أتتم أنزلتموه
 من المزن أم نحن المنزلون • لو نشاء لجعلناه آجاجا فلولا
 تشكرون ﴾ (٤) .

الليل والنهار من آيات رحمتك :

... ومن رحمتك ربنا الليل والنهار ... ولولا رحمتك
 لما نعمنا بنهار تشرق بضياؤه قلوبنا ... وتنشرح بمقدمه
 صدورنا ... فنجد فيه ونسعى ... ونجنى ثمار سعينا ...
 ولما هدأت أجسامنا وعقولنا في ليل تسكن فيه مخلوقاتك

(٤) الواقعة : ٦٣ - ٧٠

.... قال تعالى :

﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من الاله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ﴾ . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من الاله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (٥) .

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا :

.. خلقتنا ربنا لعبدك ونأتمر بأمرك وننتهي
ينوراهيك لكننا خطاءون بطبعنا تستهوننا أنفسنا .
وتشغلنا من دؤلك دنيافا فننسى الغاية من وجودنا
فننقض أيماننا وليالينا فلثت وراءها حتى اذا آذنت
شمسنا بالمغيب وأذنت أيماننا للرحيل .. ندمننا على ما فعلنا
.... وبكىنا ورجونا أيماننا أن تعود بنا القهقري
ولكن هيهات فما فات ليس بآت ، والأيام تمضي
الى حيث يشاء الله ، ونحن مما جنت أيدينا تتضاءل أمام آثامنا
حتى تضيق علينا الأرض بما رحبت وتضيق علينا حتى أنفسنا
واذا بحديثك القدسي يبعث في قلوبنا الأمل . . .
واذا بكلماتك النورانية تهديء من روعنا وهى تتردد
في كياننا كما حدثنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وقال :

(٥) القصص : ٧١ - ٧٣

« يقول الله تعالى ... يا عبيدى لم تقنط ؟ ... أليس أنا الذى أظهرتكم ... ولأمانى طوقنكم ... مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتى ... وتتنحى كأنك ما وافقتى ... »

عبدى : ان استقلتنا أقلنناك ... وان ثبت إلينا قبلناك ... وان عزمت على قصدنا أدنينناك ... وان اضطرب دليلك أرينناك ... وان عادت نفسك فى حب ودنا وإليناك ... وان بكيت لضر دوائك داوينناك ... وان بكيت لضر شفينناك وان بكيت خشية أحضرنناك ... وان بكيت خوفا أمانك ... وان بكيت أسفا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك » (٦) .

وساعتها تنجاب عن نفوسا الظلمات ... وتتغشانا بفضلك الرحمات ... ويتردد فى آذاننا الحديث النبوى الشريف الذى نزداد به أمنا وأمانا ... والذى قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم « ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون ... وبها يتراحمون ... وبها تعطف الوحوش على ولدها ... وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » (٧) .

رحمة الله للعالمين :

... ان رحمتك ربنا لا تحيط بمداهم العقول ... ولا تحدها

(٦) حديث قدسى رواه ابن مسعود رضى الله عنه .

(٧) متفق عليه .

الحدود .. فقد وسعت أرضك وسماءك * وبرك وبحرك ..
وانسك وجنك ... وزرعك وضرعك ... وحسبنا رحمة ورأفة
وشفقة وكرما وجودا أنك مننت علينا بنبي الرحمة ... رحمت
به الوجود ... ورحمت به العالمين ... وأرسلته إلينا هاديا
ومبشرا ونذيرا ... فنعمت به الانسانية ... لما اتبعت النور
الذي أنزل معه ... ولما آمنت به وصدقته واتبعت سنته ...
واهتدت بهديه ...

وحسبنا ما جاء في كتابك الكريم مينا مقام نبيك العظيم
الرحمة المهداة .. والنعمة المسداة .. : « وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين » (٨) .

رحمة الله للعالمين بظهر الغيب :

لقد رحمت به من اصطفيته من خلقك وهو بظهر الغيب
... واصطفيت له كل فرقة وكل قبيلة وكل بيت انتسب اليه ...

اله صلى الله عليه وسلم ينتسب الى أبى الأنبياء ابراهيم
... وسيرته في الدعوة الى الله مشرقة بنوره .. فقد افتدى
بنفسه أسمى القول وأحسنه ... ورضى بأن يحرق جسده
... لكن النار امتنعت عن حرقه ... وكانت بأمر ربها بردا
وسلاما على ابراهيم ...

(٨) الانبياء : ١٠٧

قال تعالى : ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون • قالوا حرقوه وانصروا الهتهم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ﴾ (٩) •

واصطفيت له ولده اسماعيل عليه السلام • • • وابتليته برؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام • • • فامثل الأمر • • • ورضى أن يذبحه أبوه • • فمكنت عليهما بذبح عظيم • •

قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى • • • قال يا أبت أفلعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين • فلما أسلما وتله للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا افا كذلك نجزي المحسنين ﴾ (١٠) •

واصطفيت له بنى هاشم بيتا • • • وعبد الله أبا ليحمل هذا النور الى العالمين • •

وقد رأت هذا النور فاطمة بنت مر • • وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، ودعته أن ينكحها • • لكنه أبى • • وتزوج أمّنة بنت

(٩) الانبياء : ٦٦ - ٦٩ .

(١٠) .الصافات : ١٠١ - ١٠٥ .

وهب ... فانتقلت إليها الرحمة ... ورأت حين حملت منه آياتها ... وبشرت الوجود بما رأته وقالت :

« رأيت حين حملت به أن خرج مني نور أضاء قصور
بصرى من أرض الشام ... ثم حملت به ... فوالله ما رأيت
من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ... ودفع حين ولدته
... وأنه لواضع يديه بالأرض ، رافعا رأسه الى السماء » .

رحمة الله للعالمين وحليمة السعدية :

وقد قالت حليمة السعدية رضى الله عنها من رحمته صلى
الله عليه وسلم ما أبدل حالها الى خير حال ... وسجلت ما
أصابها وقومها وأتائها وشارفها من فاقة ... قبل أن يمن الله
عليها برحمة الله للعالمين وقالت :

« خرجت في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا ... على
أتان قمراء .. ومعنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة ...
وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ... من بكائه من
الجوع ... ما فى ثديي ما يغنيه ... وما فى شارفنا ما يغذيه
... ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ... فخرجت على أقاتي
تلك حتى أزممت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفًا وعجفًا » .

قدمت حليمة رضى الله عنها هبة المكرمة مع صواحبها يلتمنس

الرضعاء من ذوى اليسار والغنى .. فأخذت كل منهن رضيعا ، الا
حليمة رضى الله عنها ... وتركنا محمدا لأنه يتيم ...

قالت حليمة تصف مشاعرها : « فما منا من امرأة الا وقد
عرض عليها محمد (رسول الله ﷺ) ... فتأباه اذا قيل
لها انه يتيم ... ذلك أننا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى
... فكنا نقول : يتيم !! ... وما عسى أن يصنع أمه وجهه ؟
فكنا نكرهه لذلك ... فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت
رضيعا ، غيرى .. فلما أجمعنا على الانطلاق قلت لصاحبي : والله
انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ... والله
لأذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذه ...

قال : لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة
... فذهبت اليه فأخذه ... وما حملنى على أخذه الا أنى لم
أجد غيره » .

وقد أحسنت حليمة رضى الله عنها صنعا لما أخذت بنصيحة
صاحبها ... فقد حملت فى حجرها خيرا وبركة ، أبدلها الله
بعسرهما يسرا ... وبضيق العيش سعة وفرجا ... وبكل هم
ألم بها مخرجا ... ولقد عبرت عن الرحمة التى تمنحتها ومن
حولها وقالت : « فلما أخذه رجعت به الى رحلى .. فلما وضعته
فى حجرى أقبل عليه فديأى بما شاء من لبن ... فشرب حتى

روى... وشرب معه أخوه حتى روى... ثم ناما...
وما كنا ننام معه قيل ذلك...

فقام زوجي الى شاربنا تلك... فاذا انها لحافل ، فحلب
منها ما شرب... وشربنا معه حتى اتقينا ربا وشبعا...
فبتنا بخير ليلة...»

ولما رأى صاحبها ما أصاب الأسرة من نعيم... وما
أفاء عليها من بركة... قال لصاحبتها : « تعلمي والله يا حليلة...
لقد أخذت نسمة مباركة »

رحمة الله للمالين والركب الميمون :

ولما عادت حليلة رضى الله عنها الى الركب رأت من أمر
أتانها عجباً... ورأت صواحبها منها ما جعلهن يتعجبين...
ويسألن حليلة رضى الله عنها وهي تسبقهن ويقبلن : « يا ابنة
أبى ذؤيب ويحك أربعى علينا... أليست هذه أفاك التى خرجت
عليها... فتقول لهن : والله انها لهى... فيقلن : « والله ان
لها لشأنا »

رحمة الله للمالين فى ديار بنى سعد :

وفى ديار بنى سعد تنزلت الرحمات لما قدم اليها محمد (نبي
الرحمة)... ونزل الغيث واهتزت الأرض وربت وأنبئت الكلا
والعشب... وكافت من قبل جذباء لا ترى العين للحياة فيها

أثرا ... ولا ترى لبنا في ضرع ... ألا انه لما هلت البركات
 بمقدم خير المخلوقات من الله على الديار ، فاذا بها وقد تبدلت
 الى خير حال كما وصفتها حليلة رضى الله عنها وقالت : (ثم
 قدمنا منازلنا من بنى سعد ... وما أعلم أرضا من أرض
 الله أجذب منها ... فكأفت غنى تروح حين قدمنا شباعا لبنا
 فنحلب ونشرب ... وما يحلب انسان قطرة لبن ... ولا يجدها
 في ضرع ... حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعايهم :
 ويحكم : اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ... فتروح
 أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن ... وتروح غنى شباعا لبنا
 .. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة فى الخير حتى مضت سنتاه
 وفصلته) .



قال تعالى :

﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ .

(الأنعام : ١٢٤)

لله الفضل والمنه

رحمة الله للمالين وطهارة النفس :

... لقد من الله على خلقه بخير خلقه ... وتزع من صدره كل نقيصة تشينه ، وهو لم يزل على أول عتبة من عتبات الحياة ... وأعد له رسالته ثقى السريرة طاهر القلب حتى اذا دعا الناس الى مكرمة كان أكرمهم خلقا ... وان دعاهم لعمل صالح كان أكثرهم صلاحا وحتى ترى الناس فيه صلى الله عليه وسلم مبادئ الاسلام السامية ... تراه رطب اللسان بذكر الله ، وبالطيب من القول ... وتراه رحيما القلب يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ... محسنا كأنما يرى ربه أمامه ... ملتزما بأوامره ... مجتنباً نواهيه ...

... والله كما قال في كتابه الكريم : أعلم حيث يجعل رسالته ... فقد طهره حتى لا تحجب عنه وساوس النفس وهمزات الشيطان ، كما بين ذلك في حديثه الشريف وقال : « بينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطبت من ذهب مملوء ثلجا ... ثم أخذاني فشقا بطنى ... واستخرجا قلبي فشقا ... فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ... ثم غسلوا قلبي وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه :

« زنه بعشرة من أمته ، فوزننى بهم فوزقتهم ، ثم قال : زنه
بألف من أمته ، فوزننى بهم فوزقتهم *** فقال : دعه فوالله
لو وزنته بأمته لوزنها » .

حقا انه صلى الله عليه وسلم يزن أمته لأن أمته لم
تذكر بين الأمم الا به ولأن أمته لم تسد غيرها من الأمم
الا بالكتاب الذى أوحى اليه .

..... وقبل هذا وبعده ، فان أمته لم تسجد لخالقها
مسبحة بحمده الا لما اهدت بهديه صلى الله عليه وسلم وآمنت
برسالته

رحمة الله للعالمين قبل بعثه :

..... كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاملاته
..... وكمال سلوكه وحسن أخلاقه فى صباه وفى
شبابه وقبل بعثه وبعد بعثه ، نسقا واحدا لم يتغير ..
فقد لازمته أخلاقه السامية وسموه النفسى وسجاياه
الحميدة فى مراحل حياته حتى لحق بالرفيق الأعلى ..

ذلك أن الله اصطفاه .. وأوحى اليه بالنور الذى هدى
به من يشاء من عباده

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما

كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا فهدى
به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم • صراط.
الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير
الأمور^(١) •

سداد رأيه ونفاذ بصيرته :

••• ولعلنا لو عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بعثه لرأينا نفاذ بصيرته وسداد رأيه رأى العين ••• ولرأينا
الثقة التى من الله عليه بها ظاهرة للعيان •••

لقد سمته العرب « الأمين » وتحاكت اليه لما اختلفت
على الحجر الأسود ، وحاولت كل قبيلة أن تحوز الشرف وتحمله
من دون القبائل وتضعه فى الركن •••

•• وكادت أن تتقاتل لولا أن أشار اليهم أسنهم بأن يحكموا^١
أول من يدخل المسجد الحرام ••

وكان أول الداخلين محمد • فقالوا : هذا الأمين محمد
قد رضينا ، فأخبروه الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : هلم الى
ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود ووضعته فى الثوب بيده
وقال : لتأخذ كل قبيلة من ناحية الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ،

(١) الشورى : ٥٢ ، ٥٣

ففعّلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده الشريفة ، ثم بنى عليه

حقا . . لقد كان صلى الله عليه وسلم نافذ البصيرة ، سديد الرأى قبل بعثه ، وكانت العرب تعرف قدره أمينا صادقا ، عادلا ، فكان ما حدث يوم أعادت قريش بناء الكعبة . . .

ولعلنا نرى في هذا الحدث معنى كريما جملة الغيب بين جوانحه حتى اذا حانت الساعة وبعثه الله رحمة للعالمين ألف به القلوب وهدى به النفوس .

لقد اصطفاه ربه وأعدده لرسالته ، فكان نسيجا وحده في بيثة متقاتلة متنافرة لم تجاوز من قبل مجتمعا راقيا لتتال منه حظا من علم أو معرفة ، لكنه صلى الله عليه وسلم قسما وعين العناية تكلؤ وتحرسه وتهديه ، فكان قبل بعثه — كما وصفته خديجة أم المؤمنين وهي تهديء من روعه يوم نزل عليه الوحي — وقالت : « كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر . . . »

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ • فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ •

(النوبة : ١٢٨ ، ١٢٩)

خلقه ﷺ رحمة للعالمين

رحمة الله للعالمين ومראה العام :

كان صلى الله عليه وسلم في كمال خلقه رحمة للعالمين .
وكان مرآة العام أمانة وأمانا للنظرين ، ومودة وحنانا ،
وطمأنينة للقلب وسلاما للمؤمنين ، وألفة للروح ووئاما لمن
أنعم الله عليه من المهتدين .

وصفت كتب السيرة محاسنه الظاهرة وقالت : بأنه كان
صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة ، ربة مقصدا ، معتدل الخلق
ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد . بادنا ، ليس بالجسيم ،
رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين .

وبأنه كان مشرق الوجه ، أبيض ، مشربا بحمرة ، أزهر
اللون ليس بالأبيض الأمهق^(١) ولا بالآدم^(٢)
ووصفته بأنه كان أدعج^(٣) العينين أشكل^(٤)
أهلب^(٥) الأشفار ، أكحل من غير كحل

-
- (١) الشديد البياض . (٢) الأسمر .
(٣) شديد سواد الحدقة .
(٤) شديد بياض العين مع سعة في شق العين .
(٥) كثافة وطول شعر الأشفان .

وفالوا ان عنقه كان في صفاء الفضة ، وان أسنانه كانت مثل حبات
اللاؤز ، وان ساقيه كانتا مثل جمار النخل . .

ووصفوا قدميه بالاستواء ، اذا وضعهما نبا عنهما الماء . . .

ولأن صورته الشريفة استأثرت بمتاعرهم ، فقد آثروه على
أنفسهم . . . ووضفوه ببصائرهم قبل أبصارهم ، ورأوا في
محاسنه الظاهرة محاسنه الباطنة . . .

وصفته عاتكة بنت خالد الخزامية لما مر عليها ليلة هجرته
ومعه الصديق أبو بكر رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى
أبي بكر الصديق ، ودليلهم عبد الله بن أريط
وصفته لزوجها وقالت :

« . . . رأيت رجلا ظاهر الوضاعة . . . حسن الخلق . .
لم تعب ثجلة^(٦) . . . ولم تزر به صعلة^(٧) . . . قسيما وسيما . .
في عينيه دمع^(٨) . . . وفي أشفاره وطف^(٩) . . . وفي صوته
صل^(١٠) . . . أحور^(١١) . . . أزج^(١٢) . . . أقرن^(١٣) »

-
- (٦) عظم البطن .
(٧) صغر الرأس .
(٨) شدة سواد حدقة العين .
(٩) كثرة شعر الحاجبين .
(١٠) بحة في الصوت .
(١١) شدة بياض العين .
(١٢) دقبق طرف الحاجبين .
(١٣) بين الحاجبين شعر خفيف .

إذا صمت فعليه الوقار . . . وإذا تكلم سما وعلاه البهاء . . .
 حلوا المنطق . . . كلامه فصل . . . لا نزر (١٤) ولا هذر (١٥) . . .
 كان منطقة خرزات نظم يتحدثون . . . أبهى الناس وأجملهم من
 من بعيد وأحسنهم من قريب . . . لا تشنؤه عين من طول . . .
 ولا تقتحمه عين من قصر . . . غصن بين غصنين . . . فهو أنضر
 الثلاثة منظرا . . . وأحسنهم قدا . . . له رفقاء يحفون به . . .
 إذا قال استمعوا لقوله . . . وإن أمر تبادروا الأمر » . . .

... ووصفته ربيع بنت معوذ رضى الله عنها وقالت :
 « لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » اهـ .

... ولقد صدقت الصحابة في وصفها . . . فقد كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كالشمس لما أشرقت بهديه
 ظلمات النفوس . . . واهتدت بنور رسالته القلوب . . . ورأت
 بما أوجى إليه الحق فاتبعته . . . والباطل فاجتنبته . . .

... لقد أحبه الصحابة رضوان الله عليهم . . . وتيمنوا
 بآثاره في الحرب وفي السلم . . . في الحياة وفي الموت .

... وتعلقوا بآثاره حتى أنهم اقتسموا شعره يوم حلق
 رأسه في العمرة . . . فأخذ خالد بن الوليد رضى الله عنه شعرة
 فجعلها في قلنسوته ، يثمين بها في غزواته . . . كما وإن أنس

(١٤) قليل .

(١٥) كثير .

بن مالك رضى الله عنه أوصى بوضع شعرات تحت لسانه بعد موته تبركا بها ...

وفعل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه مثل ذلك وهو فى سجن المأمون .. وأوصى بأن يجعل بعد موته شعرة فى كل عين ... والثالثة تحت لسانه اقتداء بأُس بن مالك رضى الله عنه (١٦) ...

..... هؤلاء الذين أحبوه ... واتبعوه .. رأوا آيات الرحمة فى مرآة العاص .. فأوحت اليهم بمحاسنه الباطنة ... وكمالاته الخفية ...

أما من طبع الله على قلبه ... واتبع هواه ... فقد أظلمت بصيرته ... فلم تر عيناه كماله وجلاله .. فكفر وجحد ... وأنكر نبوته ... صدق هذا فى الصحابي عمرو ابن العاص رضى الله عنه ... الذى رآه بعد اسلامه فى صورة غير التى رآه قبل اسلامه ... فأعجزته مهابة النبی صلى الله عليه وسلم أن يديم النظر فيه ...

وفى هذا المعنى يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه : « لانه لم يكن شخص أبغض الى منه .. فلما أسلمت لم يكن شخص أحب الى منه .. ولا أجل فى عيني ... ولو سئلت أن أصفه لكم لما أطق ، لأننى لم أكن أملاً عيني منه اجلالا » .

(١٦) « شيخ الامة - أحمد بن حنبل » .

الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل .

فال تعالى :

﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ... ولو كنت فظا
غليظ القلب لا نفصوا من حولك ... فاعف عنهم ... واستغفر
لهم ... وشاورهم في الأمر ... فاذا عزم فتوكل على الله
... ان الله يحب المتوكلين ﴾ .

(آل عمران : ١٥٩)

خلقه ﷺ رحمة للعالمين

أخلاقه رحمة للعالمين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل العالمين خلقاً ،
وأفضلهم خلقاً ، وأسماهم نفساً ، وأطهرهم قلباً .

ذلك لأن سلوكه صلى الله عليه وسلم ، ومعاملاته ،
وأقواله ، وأفعاله ، وعباداته كانت ترجمة صادقة لآيات القرآن
الكريم .

ولقد عبرت عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أم
المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت : « كان خلقه القرآن » ،
فقد روى ذلك سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها
وقال :

« أثبت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها :
أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه
القرآن » . أما تقرأ : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ ^(١) .

ولو تدبرنا آيات الله البينات لرأينا أخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحيد عنها قيد أنملة ، فقد كانت أوامر

(١) رواه ابن جرير .

ربه وفواهيته تتبض حياة في سره وجهره ، ويقتضه ومنامه ،
وحربه وسلمه

وحسبنا دليلا على ذلك بعض الآيات الكريمة تنديرها ونرى
أخلاقه صلى الله عليه وسلم على ضوءها لنرى ما قالت أم المؤمنين
رضي الله عنها حقيقة ماثلة أمام أعيننا ، نكاد نلمسها بأيدينا ،
ونراها ببصائرنا وأبصارنا •

لقد وصفته آيات ربه بالرحمة ، ووصفت معاملته لقومه
باللين في قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
ظفا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين ﴾ (٢) •

ولقد تجلت رحمته صلى الله عليه وسلم وهو يهدي قومه
الى الله ربا ، والى الاسلام دينا ، فدعاهم الى الرفق بأنفسهم في
عبادة ربهم كما يبين ذلك الحديث الشريف الذي رواه أنس رضي
الله عنه قال : « دخل النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جبل ممدود
بين الساريتين » فقال : « ما هذا الجبل ؟ » •

قالوا : هذا جبل لزيب ، اذا فترت تعلقت به ، فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا فتر
فليرقدن (٣) •

(٣) متفق عليه •

(٢) آل عمران : ١٥٩

كما وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخشى على الناس أن
تستن به فيما يأتيه من أعمال قد يراها ثقيلة على الناس . . .
فيدع العمل بها رحمة بهم . . .

قالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل
به الناس فيفرض عليهم » (٤) .

. . . وكان صلى الله عليه وسلم رحيمًا بخدمه ، هذه
الرحمة التي يعرضها أنس بن مالك رضى الله عنه ويقول :
ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم . . . ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين . . . فما قال لى تط : أف . . . ولا قال لشيء فعلته
لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا (٥) .

ولم يكن مولى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها بأقل
حظا فى رحمته من خدمه . . . فقد أعتقه وعامله أكرم معاملة تجلت
لما جاءه أهله من اليمن ليرافقهم الى قومه . . . وخير رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى أمره ان شاء رافق أهله وان شاء
أقام معه . . . فآثر الحياة معه لما لمس في معاملته من رحمة
وشفقة ورأفة . . .

(٥) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

حقا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظا ولا غليظ
القلب ... ولم يكن فاحشا ... ولا بذيثا ... ولا صخبيا في
الأسواق ... بل بعثه الله رحمة للعالمين ...

ولقد لمسنا بعض آثار هذه الرحمة الربانية مع زوجه ،
وولده ، وخدمه ، ومولاه ... ولو حاولنا أن نستقي من
فيض الرحمة التي من الله بها على الانسانية لما وسعتنا هذه
الصفحات ...

لذا سنحاول أن نتذوق من بحار رحمته قطرات نطفية
بها لهيب شوقنا الى حياة السلف الصالح التي أظلمتها
مبادئ الاسلام السامية ... والتي سادتها العلاقات
الانسانية ...

..... ونحن لو مضينا تتدبر في آيات الله الكريمة التي
هدته الى الطيب من القول ... والصالح من العمل ، ووصفته
بقلبه اللين الذي تألفت به القلوب .. لرأينا أن هذه الآيات
الكريمة تدعوه الى « العفو » عن الجاهل والسفيه والمسيء بقول
أو فعل ...

ذلك أن الله - وهو أعلم بعباده من أنفسهم - أكرمهم
بنبيه الذي وسع بعفوه ذوى النفوس المريضة .. وكان لهذا
العفو أثره في شفاؤها وعودتها الى ركب الانسانية مشرقة بنور
الله ، طيبة طاهرة ...

لقد كان «العفو» من صفاته صلى الله عليه وسلم ، وقد فجر به ينابيع البر والألفة بين قومه ، لأنه صلى الله عليه وسلم سما بهذه الفضيلة الى أسمى مكانة وأعلى منزلة ، حتى انه لم يعد لأحد مهما وصف به أن يسمو الى منزلته ، أو حتى يحوم حولها ، والا فآين منا هذا الذي يناصبه أقرباؤه وجيرانه وأفراد عائلته وقومه العداء فيسبونه ويأتمرون لقتله ويخرجونه من موطنه ويقاقلونه في مهجره ، ويمثلون بصحابته أبشع تمثيل .. كل ذلك لكلمة حق قالها ... حتى اذا نصره ربه جاءت هذه العصبة خاشعة تنظر اليه من طرف خفي ، وهي تظن به الظنون حتى يحاورها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقد يتجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو الى مرتبة أسمى فيحسن الى من يؤذيه بكلمة جارحة أو سلوك معيب ، ويوقظ بعفوه وإحسانه معاني الخير في نفسه ، ويعظه بسلوكه الكريم ويدعوه الى ربه ليرق قلبه ويلين ، ويألف القول الطيب ، والمعاملة الحسنة مع نبيه صلى الله عليه وسلم ومع جماعة المسلمين .

عن أنس رضى الله عنه قال : « كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ،

فأدركه أعرابي فحبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت في صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة حبذته ثم قال : « يا محمد مشرّ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه ، فضحك ، ثم أمر له بعتاء » (٦) .

ولا غرابة في ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يسمو بعفوه فيحسن الى من أساء اليه ثم يستغفر له لأنه ما جاء يدعو قومه والعالمين لينال مغنما في الدنيا ، شرفا كان هذا المغنم أو جأها ، مالا كان أو سلطانا ، بل كانت دعوته خالصة يبنى بها وجه ربه ، فكان مقامه في العفو عطاء واحسانا ، واستغفاراً ودعاء

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

« .. » كأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « .. اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » (٧) .

رحمة الله للعالمين والشورى :

لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلتزم بآيات

(٧) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

الله البيّنات في خلقه الحسن ... ولنمض مع هذا الالتزام النبوى
بأوامر ربه ... وهو يستشير الصحابة رضوان الله عليهم في
شئون حياتهم ...

لقد استشارهم في السلم وفي الحرب ... فانتظمت حياتهم
... وافتدوا دينهم بأرواحهم وأموالهم ... فتحقق لهم النصر
في دنيائهم ... والفوز بالنعيم المقيم في آخرهم ...

لقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم في قتال المشركين
يوم « بدر » ... فقام أبو بكر رضى الله عنه ... ومن
بعده عمر رضى الله عنه فأحسن القول ... وقام من الانصار
سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال : فوالذى بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف
منا رجل واحد ... وما نكره أن تلقى عدونا بنا غدا ...
انا لصبر في الحرب ... صدق عند اللقاء ... لعل
الله يريك منا ما تقر به عينك ... فسر على بركة الله •

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا جاء أدنى
ماء من بدر قزل به ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى
الله عنه :

• يا رسول الله ... أرايت هذا المنزل !؟ ... آمنزل
أتركه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه !؟ أم هو الرأى

والحرب والمكيدة ؟ .. قال : بل هو الرأي ... والحرب ...
 والمكيدة ... قال : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل ...
 فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ... ثم نغور
 ما وراءه من القلب ... ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ...
 ثم نقاتل القوم ... فنشرب ولا يشربون ... فقال صلى الله
 عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى .

... فانهض ومن معه من الناس ... فسار حتى اذا أتى
 أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت ...

الشورى في غزوة «أحد» :

... ولقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة
 «أحد» ، وكان رأيهم البقاء في المدينة المنورة ويدع المشركين
 حيث نزلوا ... فان أقاموا حيث هم أقاموا بشر منزل . . .
 وان دخلوا المدينة قاتلوهم ..

... كان هذا رأيهم ... لكن قوما فاتهم « بدر » أرادوا
 الخروج ... فنزل على رأيهم وخرج للقاء أعدائه من المشركين ..
 ... وهنا نلمس رحمته صلى الله عليه وسلم باتباعه ...
 وهو يلقي المسلمين درسا عمليا في الولاية ... ويعلن للانسانية

أن أحدا كائنا من كان ومهما كانت قدراته ومواهبه لا يملك
أمر المسلمين وحده .. يفكر ويقرر ويدعوهم الى ما رآه

... لا أحد يملك هذا الحق ... لأن الانسان خطاء بطبعه
قد تغريه السلطة ... ويستعبده المال ... وتستولي على
عواطفه ومشاعره الشهوات ... فيتبع هواه ... ويسخر رعيته
لتحقيق مآربه ...

هنا نرى رحمته وقد وسعت الانسانية كلها لتتظم
الحياة وتتحقق آدمية الفرد وخير الجماعة ..

﴿ فاذا عزمت فتوكل على الله ﴾ :

ثم تأمره الآيات الكريمة أن يعد عدنه ... ويعقد عزمه
... ويدع الأمر لله يفعل فيه ما يشاء .

... وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره به
ربه « يوم أحد » .. لقد شاور أصحابه .. ونزل على رأى
الجماعة . واستعد للقاء المشركين ... فجاءه الذين خالفوه
يقولون :

« استكرهناك ... ولم يكن ذلك لنا .. فان شئت
... فاقعد صلى الله عليك » .

... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ... ما ينبغي لنبي إذا لبس الأمتة أن يضحها حتى
يقاتل ... » •

الدعوة الى الله :

... وفي دعوته صلى الله عليه وسلم الى الله التزم بآيات
ربه ... واتبع المنهج الرباني في الدعوة ... ولم يخرج صلى
الله عليه وسلم عن هذا السبيل القويم الذي بينه القرآن الكريم
في قوله تعالى :

﴿ ... ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هي أحسن • ان ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله • وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٨) •

... ولقد تمثلت حكمته في المقال المناسب لكل مقام ...
والمثال الملائم لكل بيئة ... والقول المتسق مع كل فئة
اجتماعية ...

... عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ... قال :
وما أهلكك ؟! • قال : وقعت على امرأتى في رمضان • قال :

(٨) النحل : ١٢٥

تجد ما تعتقه • قال : لا • قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ • قال : لا • قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟! قال : لا • ثم جلس • فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعذق فيه تمر • فقال : تصدق بهذا • قال : فهل على أفقر منا ؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : اذهب فأطعمه أهلك •

وفي هذا الحديث الشريف تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس الى ربهم كما أمرته بذلك آيات الله البينات •

لقد عرض صلى الله عليه وسلم على الآثم سبلا عديدة ليكفر بما يطيقه منها خطيئته وفتح له أبواب الرحمة على مصراعيها ليدخلها من أى باب تؤوله له قدراته ، لكن الرجل معدم لا يملك شيئا •

ثم نرى الحكمة النبوية فى الدعوة وهو يدعو هذا الآثم الذى ضاقت به سبل التوبة جالسا أمامه ، لا يضيق بمجلسه صلى الله عليه وسلم ولا يتبرم ، ولا يقهره ، ولا يلومه : ولا يؤنبه على ما فعله : حتى اذا أتته الصدقة أعطاها له ليكفر بها عن ذنبه •

لكن الرجل يعلن أنه أشد الناس حاجة هو وأهله الى هذه الصدقة •

يعلم ذلك ، وكأنما جاء ليبين للناس حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته لربه ، فلا يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يضحك كما يبين لنا الحديث حتى بدت نواجهه ، ثم يأذن له بذلك ليعود الى أهله بعفو الله عن خطيئته وباحسان النبي صلى الله عليه وسلم وفضله •

الموعظة الحسنة :

ان آيات الله البينات أمرت رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد رأينا ما يدل على حكمته في الحديث الشريف الذي تعرضنا له •

أما دعوته للناس بالموعظة الحسنة فتتمثل في أحاديثه الشريفة ، وأمثاله الموجية بالهدى والرشاد ، وصبره على سفاهة المجادلين ، وقوله اللين ، وجوامع كلمه التي بلغ بها رسالة ربه جليلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ومقالاته التي ناسبت كل مقام •

وحسبنا دليلا على دعوته للناس بالموعظة الحسنة : أمثله التي ضربها في أحاديثه الشريفة ، والتي كان لها أعظم الأثر

في هداية أتباعه ، لقوة دلالتها ، ولوضوح مرماها ، ومناسبتها لمقام سامعيها ، والتي ما زالت وستظل في سمع المؤمن وقلبه قوية ، مؤثرة ، ذات فعالية تحقق غايتها في كل آونة وحين .

وكفى بأمثاله شاهدا على موعظته الحسنة والتي لاءمت كل زمان ومكان ، وكل بيئة علمية ، وكل مستوى حضارى ، والتي ما زالت ألفاظها ، وعباراتها ، وأساليبها مألوفة كأنها لغة العصر الذى نعيشه ، لا حشو في ألفاظها ، ولا غرابة في نظمها ، وفي مدلولاتها .

ولنتدبر مثالا ضربه يدعو فيه أتباعه لاختيار البيئة الصالحة التى تزدهر فيها مبادئ الاسلام السامية ، وأخلاقه الفاضلة ، وأعماله الصالحة ، ويحذرهم فيه من البيئة الفاسدة المفسدة التى تحطم معنويات المسلم الصالح ، وتدمر قيمه ، ومثله العليا ، والذى ضربه في حديثه الشريف الذى قال فيه :

« انما مثل المجلس الصالح ، والمجلس السوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكبر ، فحامل المسك اما أن يحذيك ، واما أن تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكبر اما أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد منه ريحا منتنة » (٩) .

(٩) رواه مسلم .

ان هذا المثل الذى دعا فيه الصحابة رضوان الله عليهم الى اختيار البيئة الصالحة التى تحفظ عليهم دينهم وقيمهم ، ومثلهم العليا ليبر عن أسلوب دعوته كما أمره ربه .

كما وأن أثره الطيب كان يسرى هينا لينا فى قلوب الصحابة رضوان الله عليهم وهو يعظمهم وجلال النبوة يغشاهم ، ويعمر قلوبهم بنور الايمان ، فانه — وحتى الساعة والى أن يرث الله الأرض ومن عليها — سيظل يحمل عبر القرون كمال النبى صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه ، وصدقه ، وصفاء نفسه الى من يقرؤه أو يسمعه من الأجيال المتعاقبة .

ان الموعظة الحسنة التى انصهرت بها القلوب المتحجرة لتبدو فى أحاديثه الشريفة كلها ، وفى أمثاله التى ضربها ليعين بها حكما أو يصلح بها عملا فاسقا .

ولو حاولنا عرضها لما وسعنا هذه الصفحات ، لذلك سنكتفى بحديث شريف آخر بين فيه حال العبد المسلم الذى لا تنهاه صلاته ، وصومه ، وزكاته ، عن إيذاء المسلمين ، وعاقبة السوء التى تنتظره يوم لقاء ربه وهو يعطى لذوى الحقوق حقوقهم .

لقد صورته الحديث الشريف أدق تصوير حتى وكأننا فلحظه ونراه وهو يعطى لهذا وذاك حقه فى عباراته ، ونكاد

(*) بسكون الياء فيهما ، راجع الفاموس .

نشفق عليه وعلى أمثاله وهم في هذا الكرب العظيم ، وتمزق
نياط القلوب لما يصوره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصورته الكئيبة وقد اتمت عباداته ولم يزل العباد يطالبونه
بحقوقهم حتى تطرح عليه خطاياهم ، ثم يطرح في النار .

انها موعظة تذيب الصخر ، وتلين أقسى القلوب ، وتقشعر
لغزاهها ومرماها جلود الجبابرة وهم يسمعون حديثه الشريف
الذى قال فيه لأصحابه ذات يوم :

« أقدرن من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم
له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة
بصلاة ، وزكاة ، وصيام ، ويأتي ، وقد شتم هذا ، وقذف
هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى
هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته - قبل
أن يقضى ما عليه - أخذ من خطاياهم ، فطرح عليه ، ثم طرح
في النار » (١٠) .

ان الموعظة الحسنة التي أمرته بها آيات الله البينات لم
تكن لتقتصر على أحاديثه الشريفة التي ضرب فيها أدق الأمثال ،
والتي تناولت جوانب الحياة كلها في الدنيا والآخرة ، بل لعلنا
لو تدبرنا أفعاله ، وأخلاقه ، وعباداته ، وجهاده لرأيناها موعظة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

(١٠) رواه مسلم .

ذلك أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ مولده
حتى يوم لقاء ربه كانت كتابا يعظ فيه الانسانية لما فيه
صلاحها في دنياها وأخرها .

فهو في صحته كان يعظ الناس بالحمد والشكر ، وبالصلاة
والصيام وبالذعاء وفضائل الأعمال .

وهو في مرضه كان يعظ الناس بالصبر والامتنان لقضاء
الله . .

وهو في جهاده كان يعظ الناس بشجاعته ، وإخلاصه ،
وصدق عزيمته ، وقوة يقينه .

وهو مع أسرته كان يعظ الناس برحمته ، وبره ، ومودته ،
واحسانه .

وفي ايجاز شديد نقول ان حياته كلها كانت موعظة لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر .

المجادلة بالنبي هي احسن :

نحن ما زلنا نتدبر آيات الله متمثلة في أخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنراها نابضة بالحياة وهو يدعو الناس
الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولننتقل الى مجادلتيهم بالتى هى احسن وهو يدعوهم الى ربهم لنرى المجادلة الحسنه متكاملة مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنه .

ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وكان يدعو قوما أبطلوا الحق وحاربوه ، وأحقوا الباطل وناصروه ، وأمثال هؤلاء هم أشد الناس حاجة الى المجادلة بالتى هى أحسن .

ولولا أنه صلى الله عليه وسلم كان يستل أمر مولاه فى جداله معهم لما اتبعوه ، وآمنوا به ، ونصروه .

لقد كانت السادة والأشراف ، وأصحاب المصلحة يجادلونه جدالا يثير الحليم ، وكانوا يرون أن مبادئ الاسلام السامية تقيد معاملاتهم ، وتقف حجرة عثرة أمام شهواتهم وأهوائهم ، فلا يدعون سبيلا يفترون فيه على الله بكاذب القول ، وظالم الافتراء الا سلكوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدحض افتراءهم بالحجة البالغة ، والمنطق المفحم ، دون أن يؤذى مشاعرهم أو يجرح كبريائهم .

ولنعش مع حديثه الشريف وهو يحاور شابا رأى فى الاسلام ومبادئه عقبة تقف دون شهواته ، فجاءه وقال يا نبي الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس . فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : قريوه ؟ أذن ، فدنا حتى جلس بين يديه • فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : أتجبه لأمك ؟ قال : لا • • جعلني
الله فداءك • قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم • أتجبه
لابنتك ؟ قال : لا جعلني الله فداءك • قال : كذلك الناس
لا يحبونه لبناتهم • ثم ذكر العمة ، والخالة ، وهو يقول : لا • •
جعلني الله فداءك • فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره ، وقال :

« اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه » فلم يكن
شيء أبغض إليه (١١) منه •

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم حكمته ، وموعظته
الحسنة في مواقف كثيرة ، نذكر منها ما رواه الصحابي معاوية بن
الحكم رضى الله عنه قال :

بينما أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس
رجل من القوم ، فقلت : «يرحمك الله» ، فرماني القوم بأبصارهم
فقلت : ثكلتكم أمهاتكم ، ما شأكم تنظرون الى ، فجعلوا
يضربون أفخاذهم ، فلما رأيت أنهم يصمتوني سكت ، فلما
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلأبى هو وأمى ، ما
رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما قهرني ،
ولا ضربني ، ولا شتمني ، وانما قال :

(١١) أى من الزنا ، والحديث رواه أحمد •

« ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ،
انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » •

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ :

لقد قدیرنا آیات الله الکریمۃ الی تعرضت لرحمته صلی
الله علیه وسلم ، ورأینا کیف تمثلت فی رحمته بأسرته وخدمه ،
كما وأتانا رأینا آیات الله الکریمۃ متمثلة فی عفوه عن المیء من
أصحابه وأعدائه ، وفی استغفاره لمن تجاوز حده فی قوله وفعله ،
وفی مشاورته لأصحابه فی حربه وسلمه ، والامثال الأمر الجماعۃ
فیما يتصل بأمور دنیاهم •

كما وأتانا تعرضنا لآیات الله الی ینت له سبیل الدعوة
الی الله ، ورأینا المنهج الربانی متمثلاً فی أسلوب دعوته لم یحد
عنه قید أکملۃ •

ولقد جمعت آیه فی القرآن الکریم کل ما اتصف به صلی
الله علیه وسلم من خلق فاضل فی قوله تعالی : ﴿ وانک لعلى
خلق عظیم ﴾ (١٢) •

وحتى نرى أخلاقه القرآنیة رأى العین : تعرض الی قیمۃ

(١٢) القلم : ٤

خلقية أو أكثر حتى يتبين لنا التزامه الخلقى بهدى القرآن الكريم ، وليكن ما قدبره هو حلمه صلى الله عليه وسلم .

كان الحلم من أخلاقه الكريمة التي تحلى بها . وكان في حلمه القصة التي ترنو اليها النفوس لتنال من هذا العطاء الريانى ما يسر لها سبل التعامل مع ذوى الطبائع والأخلاق والعادات المتباينة ...

لقد فاق في حلمه كل وصف ... وسما به وارتقى الى اسمى مراتبه ... والا فأين ذلك الحليم الذى يدنس له عدوه أقدس مقدساته ... فلا ينتقم منه ... ولا يغضب ولا يشور ...

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ... بال أعرابى فى المسجد ... فقام الناس ليقعوا فيه ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ... دعوه ... وأريقوا على بوله سجلا من ماء (أو ذنوبا من ماء) فانما بعثتم ميسرين ... ولم تبعثوا معسرين » (١٣) .

... وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم « الصدق » ... وقد تحلى بهذه الصفة الكريمة فى صباه ... وفى شبابه ... وفى كهولته ... تحلى به وبغيره من مكارم الأخلاق .

(١٣) رواه البخارى .

... وكان لهذه الفضيلة السامية أثرها القوي الذي أبطل
افتراء المشركين ... ذلك أن صدقه قبل بعثه كان حجة مفحمة
لصدقه في دعوة قومه الى ربهم ... ولو كان كاذبا - وحاشا
لله أن يكون - للكذب على الناس ولما التزم الصدق
في حياته كلها .

... لقد صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل
الصفاء ، وفادى القبائل حتى اجتمعت ، ودعا قومه الى الاسلام
وقال : « رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير
عليكم ... أكنتم مصدقي ؟ ... فأجابوه قائلين : ... نعم
... ما جربنا عليك كذبا قط ... فقال لهم : « ... فاني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد ... » .

وكان صلى الله عليه وسلم يرى الصدق سمة من
سمات المسلم ... وعنصرا من عناصر شخصيته ، لا تفارقه في أحواله
كلها ...

وكان يلتمس العذر للمسلمين بحكم بشرتهم الخطاة ...
ونفوسهم الأمارة بالسوء ... وضعفهم البشري ...

كان صلى الله عليه وسلم يلتمس العذر لنقائصهم الخلقية
... وآفاتهم النفسية ... الا أنه كان لا يعذر أحدا من
المسلمين في الخيانة والكذب كما بين ذلك في حديثه الشريف

وقال : « يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة والكذب » (١٤) .

... كما وأنه كان يمقت من تخلق بهذه الصفة كما حدثتنا بذلك عائشة رضى الله عنها وقالت : « . . ما كان من خلق أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ... ما اطلع على أحد من ذاك شيئا فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة » (١٥) .

... كان صلى الله عليه وسلم لا يعذر الناس في صفة الكذب . ولا يقبل فيه تبريرا حتى ولو ادعى المسلم في كذبه بالمزاح . بل الأكثر من هذا أنه بين في حديثه الشريف أن الكذب في المزاح ينال من ايمان المؤمن وينتقص منه .

وفي هذا المعنى . قال : « لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك الكذب في المزاح » (١٦) .

.. ولقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث آخر ، بين فيه منزله الصدق عند الله ، وجزاء الصادق

(١٤) رواه أحمد .

(١٥) رواه أحمد والزار واللفظ له .

(١٦) رواه أحمد .

في دنياه ٠٠٠ وأخراه ٠٠٠ وثوابه عند ربه يوم يلقاه ، وقال « ان
الصدق يهدي الى البر ٠٠٠ وان البر يهدي الى الجنة ٠٠٠ ان
الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ٠٠٠ وان الكذب
يهدى الى الفجور ٠٠ وان الفجور يهدى الى النار ٠٠٠ وان
الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » (١٧) .

ومن هاتين الصفتين الكريمتين التي تحلى بهما « الحلم »
و « الصدق » ٠٠ وغيرهما من مكارم أخلاقه : نرى كيف تمثلت
في أخلاقه آيات ربه في قوله تعالى : ﴿ واثقك لعلى خلق
عظيم ﴾ ٠٠٠

٠٠٠ وحقا ٠٠ ما قالته عائشة رضى الله عنها ، لما وصفت
أخلاقه صلى الله عليه وسلم وقالت : « كان خلقه القرآن » ٠٠٠
والقرآن الكريم كان ٠٠٠ شفاء ورحمة ونورا ، هدى الله
به القلوب ٠٠٠ فأشرقت بنور ربها ٠٠٠ ومحيى الله به ظلمات
النفوس ٠٠٠ فاهتدت بهديه ٠٠٠

قال تعالى : ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ (١٨) .

٠٠٠٠ والمصطفى صلى الله عليه وسلم - وقد تخلق بأخلاق
القرآن - كان بمكارم أخلاقه ٠٠٠ وفضائل أعماله رحمة
للعالمين ٠٠٠٠

قال تعالى :

﴿ يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بان
لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ .

(الاحزاب : ٤٥ - ٤٧)

أمة مؤمنة وأخرى كافرة

... لقد حملت الأمة العربية مشاعل الحضارة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بعد أن تآلفت القبائل وتآخت وتراحت ... وصارت أمة لها قاعدتها في الحياة ... ولها غايتها النبيلة في الدنيا والآخرة ... ولها مثلها العليا ... وقيمها الاجتماعية التي لم تر الانسانية حضارة تماثلها في الحضارات التي سبقتها ، ولا في التي تلتها .

... ذلك لأنها حضارة كرس نظامها الاقتصادي ... والسياسي ... والاجتماعي لسعادة الانسان وأمنه مع نفسه ... ومع أسرته ... ومجتمعه ...

ولو تدبرنا سر ازدهار الحضارة الإسلامية لوجدناه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفرد والجماعة ... حتى تربت على مبادئ الإسلام السامية .

... عهد الفرد في يقينه يربه ... وقوة إيمانه ... وصدقه في الدعوة إلى الله ...

وعهد جماعة المسلمين ورعاها حتى صاروا في سنين معدودات قادة الدنيا وسادتها ... وأقاموا هذه الحضارة السامقة على دعائم الحق ... والهدى ... والنور ...

... ولعل خير سبيل ندرك به رحمة الله بأمه العرب ...
ويد الرسول الرحمة التي أخذت بأيدي هذه القبائل حتى
صارت أمة راقية تهدي الناس ...

لعل خير سبيل لهذا هو أن نقابل بين حياتين حياة
العرب قبل الاسلام ... وحياتهم بعده ، لتري آثار رحمة الله
للعالمين بالعرب لما استنت بسنته ... واقتدت به ... واهتلت
بهديه .

حياة العرب قبل الاسلام :

... عاشت العرب قبل الاسلام بعقيدة فاسدة ... وبنظام
قبلي مدمر ، وبعادات اجتماعية قاتلة .

أما عقيدتها الفاسدة فقد شرعت لها السدنة ، وزينت
الباطل حقاً ، والشرك ايمافاً ، وعبادة الأصنام ديناً . فضلت
عن سواء الصراط ، وطافت حول الطواغيت ، وأهدت لها .
وغيرت وبدلت في الحنيفية التي جاء بها أبو الأنبياء ابراهيم
عليه الصلاة والسلام .

أما عاداتها ، وقيمها الجاهلية ، وعلاقاتها ، ومعاملاتها ،
وحياتها الاجتماعية ، فكانت وبالا على الفرد والجماعة ، وخسرافاً
مبيناً .

وحسبنا دليلا على ذلك وأد البنات اذا بلغن سن الزواج ولم يتزوجن . فقد كانت هذه العادة فى عرف المجتمع شرفا وفخارا ، وهو فى حقيقة الأمر ، وعرف الانسانية ذلة وعار .

وكافت الأسرة وهى تقر هذه العادة المدمرة لكل قيمة خلقية ، وعلاقة اجتماعية ، تقضى على أسمى علاقة فى الوجود ، وأنبل عاطفة فى الأسرة . تلك هى عاطفة الرحمة والمودة ، والحب والألفة ، والرفق والتعاطف .

حقا لقد كانوا يدفنون الغاية التى تكونت لها الأسرة ، ويهيلون التراب على المودة والرحمة التى يبيتها آيات الله البنات فى قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

لكن القلوب القاسية ، والنفوس المظلمة ، والعقول المريضة زينت المنكر معروفا ، والباطل حقا ، فاتبعوا أهواءهم ، وانقادوا لشيطانهم كما بينت ذلك آيات الله فى قوله تعالى :

﴿ واذا بشر أحدهم بالأتى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ (٢) .

(٢) النمل : ٥٩ : ٦٠

(١) الروم : ٢١

أما الحياة القبلية فقد أودت بكل علاقة كريمة ، وبكل معاملة
حسنة بين الفرد والجماعة ، فكان البطش والبغى والعدوان
من سماتها ، والسلب والقتل وهتك الأعراض من دعائم كيائها •

فلا غرابة أن نرى المرأة الجاهلية وقد أنكرت أنوثتها ،
ورقة مشاعرها ، وتطبعت بما أوحى إليها آلهتها اللات ، والعزى
وهبل ، فصارت مثلها لا تبصر ، ولا تسمع ، واستبدلت رقة
قلبها بقسوة الحجارة التي عبدتها ، وسبحت بحمدها •

ولا عجب أن نرى هند بنت أبى سفيان تبقر بطن سيد
الشهداء حمزة ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وتلوك كبده
بأسنانها فى غزوة « أحد » •

وفاهيك عن مجتمع هذا شأن نسائه ، فما بالك برجاله ،
وما أمره فى حربته وسلمه ، وغناه وفقره ، وقوته وضعفه ، وفى
الحاده وكفره وشركه •

ولعلنا لن نحتاج الى من يبين لنا فضل الاسلام على
العرب ، ولا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى
أخرجهم من ظلمات الجاهلية الى نور الرحمة الالهية •

لن نحتاج الى جهد نبذله لندلك على ذلك ، ولكن حسبنا أن
نرى كيف تبدلت قسوة قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله

عنه رحمة ، وألفة ، ومودة بعد اسلامه ، وكيف خرج من المسجد يسأل عن بقاء طفل رق له قلبه ، ويحاور أم الطفل عن سر بكائه هذا الحوار :

عمر : ويحك • انى لأراك أم سوء ، لماذا يبكى ابنك ؟

الأم : اسأل عمر بن الخطاب •

عمر : وما شأن عمر بن الخطاب يبكاء ابنك ؟

الأم : انه يبكى هكذا منذ أربعة أيام ، لقد فطمته وهو لم يكمل الحول •

عمر : لماذا فطمته ؟

الأم : لأن عمر بن الخطاب لا يفرض في بيت المال الا للطفل الفطيم •

فاذا بعمر يرق قلبه ، ويأمر مناديا ينادى في الناس بأن لا يمنعوا أطفالهم من الرضاع لأنه سيفرض لكل مولود ، والأسمى من ذلك أن يرق قلبه ولا يدع أحدا من أمة الاسلام ليخرج مشاعر لقيط ظلمه أبواه ، ونبذاه دون رحمة ولا شفقة خوفا من التضيعة والعار ، فكان لا يفرض لمن يتكفل بتربية اللقيط الا بعد أن يقسم أمامه بأن لا يخرج مشاعره ، ولا يؤذيه اذا كبر ، ولا ينال من كرامته ولا يخبره بأنه لقيط •

وعمر الذي حفظ للقيط آدميته ، وأبى هوانه وذلته ،
وأخذ على تكيله العهد أن لا يخبره بحقيقة أمره لما يبلغ
أشده ، كان قبل اسلامه قاسى القلب ، فظا غليظا ، لا يحن
لكسير خاطر ، ولا لفقير ، وكان يضرب جارية بنى مؤمل لما
أسلمت ضربا مبرحا دون شفقة ، ولا يضع السوط من يده
الا بعد أن يمل من ضربها وهو يقول : ما تركتك
الا ملالة •

وتبدو لنا صورة عمر بعد اسلامه مناقضة لصورته في
الجاهلية ، لأن رحمة الله لما هلت بشائرها بمبعث الرحمة •
المهداة ، لانت القلوب ورقت ، وحسنت الأخلاق وسمت ،
وصارت أمة العرب في أخلاقها ، ومعاملاتها ، وتوادها ،
وتراحمها مرآة ترى فيها الانسانية مبادئ الاسلام السامية •

جعفر بن أبى طالب والنجاشى :

ان السمو الوجدانى ، والرقى الخلقى ، والتكافؤ الروحى
بين المسلمين ليؤداد وضوحا ان عرفنا ما قاله سيدنا جعفر
ابن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى مبينا فضل النبى صلى
الله عليه وسلم على العرب ، ومقارنا بين حياتين متقابلتين ،
حياة جاهلية كحياة الأنعام أو أضل سبيلا ، وحياة بعد
الاسلام كرمت الانسان وشرفت الانسانية بقيمتها ، ومثلها ،
وعزتها •

قال جعفر للنجاشي :

« أيها الملك ... كنا قوما أهل جاهلية .. نعبد الأصنام
ونأكل الميتة ... ونأتى الفواحش ... ونقطع الأرحام ..
ونسئ الجوار ... ويأكل القوى منا الضعيف .. فكنا على
ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا .. نعرف نسبه ...
وصدقه .. وأماقته ... وعفافه .. فدعانا إلى الله لنوحده
ونعبده ... ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من الحجارة
والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ... وأداء الأمانة ..
وصلة الرحم .. وحسن الجوار ... والكف عن المحارم
والدم ... ونهانا عن الفواحش ... وقول الزور ... وأكل مال
اليتيم ... وقذف المحصنات ... وأمرنا أن نعبد الله
وحده ... ولا نشرك به شيئا ... وأمرنا بالصلاة ...
والزكاة ... والصيام ... »

كانت حياة العربي قبل الاسلام لا تمت إلى الآدمية
بصلة ... أما حياته بعد الاسلام .. فتبدو لنا من خطبة
جعفر رضى الله عنه حياة راقية ... وعلاقات مع مجتمعه
كريمة ... والتزام مع النفس بكل معانى الخير ... وعبادة
صحيحة علمها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى
عنها رب العزة والجلال ..

وتبدلت الأحوال .. لما أسلم العربي نفسه وماله وولده

لربه .. ابتغاء مرضاته ... فصار يلهج بالثناء على ذاته
العليا ... ويدعو ربه بأسمائه الحسنى ... يدعو
شافيا ... ومحيا ومميتا .. ويدعو .. هاديا .. ورازقا
جواد كريما .. ويدعو قويا عزيزا .. شديد العقاب ...
غفورا رحيمًا ..

لقد امتزجت روحه بآيات الله .. وصارت في شفافتها
نلج بحمد الله ... في خشوع ... وتتضرع الى المغفرة
والرحمة والرضا والرضوان ... ويتردد في قلبه صدى
قوله تعالى :

» ... الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعننى
ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميئتنى ثم يحيين ،
والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين « (٣) .

لقد اطمأنت النفس بكتاب ربها * بعد أن كانت من قبل
ثائرة تموج وتضطرب بما يمليه عليها شيطانها ... كما بشرها
بذلك رسولها صلى الله عليه وسلم وقال :

» ... ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله .. يتلون
كتاب الله ... ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ...

وغشيتهم الرحمة .. وحضنهم الملائكة ... ودكرهم الله فيسن
عنده «(٤)» .

... هذه السكينة التي تنزلت على العربي بعد
اسلامه ... والرحمة التي تغشته .. لازمته في صحته ..
ومرضه ... في قوته وضعفه ... في غناه وفقره ... وفي يقظته
وفي منامه .. فقد اهتمدى بهدى نبيه ... وعبر عن سكينة
نفسه ... وهو يقول حين ينام .. كما علمه رسوله صلى
الله عليه وسلم :

» ... اللهم أسلمت نفسي اليك ... ووجهت وجهي
اليك ... وفوضت أمري اليك ... وألجأت ظهري
اليك ... رغبة ورهبة اليك .. لا ملجأ ولا منجى منك
الا اليك ... آمنت بكتابك الذي أنزلت ... ونيك الذي
أرسلت «(٥)» .

... هذا شأن العربي بعد اسلامه في منامه ... فما شأنه
في يقظته ... وفي يسره وعسره .

... انه يأخذ بالأسباب ان أصابته ملة ... ويدع
الأمر لله .. يفعل به ما يشاء .

(٥) رواه البخارى .

(٤) رواه مسلم .

••• وهو فيما يفعله •• يتبع نبيه • الذى أسلم نفسه
 لربه لما دعا ثقيف الى الله فى الطائف •• فكذبه سادة
 ثقيف ••• وأغروا صبيانهم وسفهاءهم يسبونهم ويقذفونه
 بالحجارة •• فلجأ الى ربه يشكو ما فعله القوم به •••
 ويطلب رحمته ومغفرته ويقول : « ••• اللهم اليك أشكو
 ضعف قوتى •• وقلة حيلتى ••• وهوانى على الناس ••
 يا أرحم الراحمين ••• أنت رب المستضعفين وأنت ربى •• الى
 من تكلنى ••• الى بعيد يتجهمنى ••• أم الى عدو ملكته
 أمرى ••• ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى •• ولكن عافيتك
 هى أوسع لى •••• أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به
 الظلمات •• واصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل على
 غضبك ••• أو يحل على سخطك ••• لك العتبى حتى
 ترضى ••• ولا حول ولا قوة الا بالله ••• » •

واستنت العرب بهذه السنة الحميدة ••• واقتدت بهذه
 القدوة الصالحة لما أسلمت روحها الى بارئها فى كل أمر من
 أمور حياتها •

••• لكن العربى بعد اسلامه وهو يفعل ذلك أدى ما ألزمه
 به ربه ••• فحفظ عهده وميثاقه معه ••• فأسلمت مع نفسه ••
 ومع قلبه ••• جوارحه ••• فهو بهذا الأمن والأمان النفسى •

... وبهذه السريرة الطاهرة .. والقلب المطمئن حفظ
لسانه من كل فحش ... وجوارحه من كل خطيئة .. فحفظه
ربه ... كما بشره بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
الشريف الذي رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خاف
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا غلام انى أعلمك كلمات .
احفظ الله يحفظك ... احفظ الله تجده تجاهك ... اذا سألت
فاسأل الله ... واذا استعنت فاستعن بالله ... واعلم أن الأمة
لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه
الله لك ... وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك
الا بشيء قد كتبه الله عليك ... رفعت الأقلام وجف
الصحف » (٦)

* * *

(٦) رواه الترمذى .. وقال حديث حسن صحيح ...

قال تعالى :

﴿ ونفس وما سواها . فآلهمها فجورها وتقواها .
قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ .
(الشمس : ٧ - ١٠)

النفس التقيية

... لقد ارتقت نفس العربى بعد اسلامه ... وسمت ...
 واهتدت ... وعادت الى فطرتها السوية التى فطرها الله عليها ...
 وأشرقت بنور ربها ... ونبذت كل نقيصة تشينها ... وتطهرت
 من عللها وأمراضها ... والتزمت بمكارم الأخلاق التى دعاها
 اليها نبيها صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« ... اياكم والظن .. فان الظن أكذب الحديث ...
 ولا تحسسوا ... ولا تجسسوا ... ولا تنافسوا ...
 ولا تحاسدوا ... ولا تباغضوا ... ولا تدابروا ...
 وكونوا عباد الله اخوانا ... المسلم أخو المسلم ...
 لا يظلمه ... ولا يخذله ... ولا يحقره ... التقوى
 هاهنا ... التقوى هاهنا - وأشار الى صدره الشريف -
 بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ... كل المسلم
 على المسلم حرام : دمه ... وعرضه ... ودينه » (١) .

... رأت الصحابة رضوان الله عليهم التقوى فى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ... ورأوا الطهارة والنقاء ... ورأوا
 صفاء النفس وهو يوجه الناس ويرشدهم ... ويحذر من

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم واللفظ له . .

يوغر صدره بما حدث بينه وبين من حوله ... كما
قال في حديثه الشريف : « ... لا يبلغني أحد منكم عن أحد
من أصحابي شيئاً ... فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم
الصدر » (٢) .

..... ثم أراهم صفاء النفس ... ونقاء السريرة في
غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

... لقد رأوا بأعين رؤوسهم أن الأعمال بالنيات وأن من
أخلص وصدق ربه فله حسن الثواب .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « ... كنا جلوساً
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع الآن عليكم
رجل من أهل الجنة ... فطلع رجل من الأنصار تنطف (٣)
لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال

قال أنس رضى الله عنه : ان الرسول صلى الله عليه
وسلم قال ذلك ثلاث مرات ... فلم يكن الا ذلك الرجل ...
فلما قام الرجل تبعه عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ، وقال له :
« ... انى لاجيت أبى (٤) فأقسمت أن لا أدخل ثلاثاً ...
فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت .

(٣) نقطر ماء .

(٢) رواه أبو داود .

(٤) خاصمت .

••• قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنه بعد أن بات معه ثلاث ليال انه لم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه اذا تعار^(٥) •• ذكر الله عز وجل حتى صلاة الفجر وانه لم يسمعه يقول الا خيرا ، حتى كاد عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن يحتقر عمله •• وسأله عن الذى بلغ به ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ••• قال الرجل : ما هو الا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا •• ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه ••• فقال عبد الله رضى الله عنه : هذه التى بلغت بك •

••• ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقى بالنفس البشرية ••• ويسمو بها ••• حتى كاد الصحابى أن يشم عرف^(*) الجنة لما خشى ربه واتقاه ••• وحتى كادت النار تلعفه بلهيبها ان خالفه وعصاه •

••• روى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك الأنصارى : كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال : أصبحت بحمد الله مؤمنا حق الايمان ••

قال : انظر ماذا تقول يا حارثة ؟ ••• وما حقيقة ايمانك ؟!

(٥) بالراء المستددة المفتوحة ، اسنيقظ من اللب .
(*) بفتح العين : الرائحة .

قال حارثة : لقد عزفت نفسى عن الدنيا *** وأقبلت
على الآخرة *** فأسهرت ليلى ٠٠ وأظلمات نهارى ***
فصرت كأنى أنظر الى عرش ربى بارزا *** والى أهل الجنة
فى الجنة يتزاوون *** والى أهل النار فى النار يتضاغون
ويبكون ***

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

*** لقد عرفت يا حارثة فالزم (٦) .

*** ولعل فيما فعلته المرأة العربية التى اتبعت هواها ٠٠
لدليلا على أن النفس التى تعهدتها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتربيتها لم تعد ترضى بالخطيئة *** فان أضلها شيطانها
باتت قلوب صاحبها *** وتنغص عليه أمنه حتى تتطهر كما
أراد لها نبيها صلى الله عليه وسلم ٠

*** عن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن امرأة من
جبهة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من
الزنا ، فقالت :

» ٠٠ يا نبي الله أصبت حدا فأقمه على *** فدعا

(٦) رواه الطبرانى .

نبى الله صلى الله عليه وسلم وليها ١٠٠٠ فقال : أحسن اليها ٠٠ فاذا وضعت فأنتى بها ٠٠٠ ففعل ١٠٠٠ فأمر بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ١٠٠٠ فشكت عليها ثيابها ٠٠٠ ثم أمر بها ١٠٠٠ فرجمت ثم صلى عليها ٠٠٠

فقال له عمر : تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت ٠٠٠ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ٠٠٠ وهل وجدت توبة أفضل أن جادت بنفسها لله تعالى (٧) .

النفس المطمئنة وفتنة المال :

٠٠٠ اطمأنت النفس لما سقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيض رحمته ، وبعث فيها الرضا بما قسمه الله وقال :

﴿ من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ﴾ (٨) .

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصى أتباعه بالقناعة ويقبل هو على الدنيا — وحاشا أن يفعل ذلك

(٨) رواه الترمذى .

(٧) رواه مسلم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم - بل كان في بيته ، ومع أهله مثلاً للقباعة ، والزهد ، والرضا بما قسمه الله له •

وحسبنا دليلاً على ذلك ما تركه بعد أن لحق بجوار ربه وهو الذي كانت تأتيه الغنائم وأموال الزكاة ، والذي داف له جزيرة العرب كلها ، وأسلمت قيادها ، بعد أن اهتمت بهدي نبيا •

لقد ترك صلى الله عليه وسلم درعه مرهونة عند يهودي ، كما تروى ذلك أم المؤمنين رضى الله عنها •

عن عائشة رضى الله عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاع من شعير» (٩) •

وما أعمق إيمان العبد المسلم الذي تثرى نفسه ، فلا يطمع في ما لا حق له فيه ، والذي لا يعد المال غاية يسعى إليها ، والذي صدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » (١٠) •

(٩) متفق عليه •

(١٠) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى •

ذلك أن النفس ان لم تغنى بإيمانها فترضى بما من الله عليها ، ظلت فقيرة أبد الدهر ، ولو ملكت الدنيا بذهبها وفضتها •

ولعلنا لو نظرنا حولنا لرأينا المال غاية الناس في عصرنا الحاضر الذى اتسم بالمادية فى أمور حياتها كلها حتى كادت فتنة المال أن تقوض دعائمها ، فتنهار على رءوس عباد المال ، كما انهارت الحضارات التى سبقتها •

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يربى النفوس الجشعة كما تربي الأم طفلها الرضيع ، وفى نصائحه للصحابى حكيم بن حزام رضى الله عنه خير دليل على ذلك •

... قال حكيم بن حزام رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ... ثم سأله فأعطانى ... ثم سأله فأعطانى ... ثم قال : « يا حكيم ... ان هذا المال خضر حلو ... فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ... ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ... وكان كالذى يأكل ولا يشبع ... واليد العليا خير من اليد السفلى » •

قال حكيم : فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا •

•• وكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه
العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا •

••• ثم ان عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن
يقبله فقال :

« يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم ••• انى
أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له فى هذا الفء فيأبى
أن يأخذه • فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبى صلى
الله عليه وسلم حتى توفى » (١١) •

وكان لهذه النفس التقيّة الراضية المطمئنة التى عرفت
عظمة ربها وجبروته ••• واطمأنت لرحمته ومغفرته وجناته ••
أثرها فى العلاقات الاجتماعية ••• فصاحبها ان عمل خيرا فى
دنياء : لا ينفى الا رضا مولاه •••• لالتزامه فى ذلك بالحديث
القدسى :

••• عن أبى هريرة رضى الله عنه ••• قال ••• قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ••• ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : ••• يا ابن آدم
مرضت فلم تعدنى ؟ ••• له قال : يارب كيف أعودك • وأنت رب

(١١) متفق عليه •

العالمين ؟! قال : أما علمت أن عبيدى فلانا مرض ولم تعده ...
 أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ ... يا ابن آدم
 استطعمتك فلم تطعمني ... قال : يا رب كيف أطعمك وأنت
 رب العالمين ؟! ... قال : أما علمت أنه استطعمك عبيدى فلان
 فلم تطعمه ؟ ... أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك
 عندي ؟ ... يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ؟! ... قال :
 يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟! ... قال : استسقاك
 عبيدى فلان فلم تسقه ... أما علمت أنك لو سقيته لوجدت
 ذلك عندي (١٢) .

وتعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفوس المظلمة
 التي أضلها الشيطان فأشرقت بنور ربها لما ألهمها ربها
 تقواها ، فأثمت أكلها : صدقا ، ووفاء ، وكرما ، واحسانا ...
 وأثمرت برحمة ربها عملا صالحا ، وإيمانا كاملا ، ويقينا
 صادقا ... وتآلفت زوجا وزوجة ، وولدا وخرما ، ورحما
 وجارا ...

... وصارت الأسرة المسلمة آية من آيات الله ... ونواة
 لمجتمع اسلامى قام على دعائم الحق والهدى ، والبر والتقوى ،
 والتعاون والجهاد ...

* * *

(١٢) رواه مسلم .

قال تعالى :

• ... ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة • ان في ذلك لآيات
للقوم يتفكرون •
(الروم : ١١)

الأسرة المسلمة

رحمة الله للعالمين والاسر المسلمة .

تعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء النفوس على هدى مبادئ الاسلام السامية ، فتألفت وتحابت وصارت بنعمة الله اخوانا . ومن هذه القلوب المشرقة بنور الله ، والنفوس التقية بفضل الله تكوئت الأسرة المسلمة .

والأسرة المسلمة آية من آيات الله بتراحمها وتألفها وتعاونها على ما فيه الخير لها ولبن حولها .

فالزوج مظلة يقى زوجته قيظ الحياة ، فتنعم معه بطيب العيش وتنهل معه من أسمى معانيها مودة ، وألفة ، ورحمة .

وهو درعها التى تتقى به غدرات الزمان ، ومنغصات الحياة ، وهو الذى يجمى زمارها ، ويصون كرامتها ، ويمهد لها سبل العيش الآمنة لتضى مع حياتها فى هناءة البال ، ورغد العيش .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لمن عاصره ، ومن جاء بعده ، وسيظل أسوة حسنة للانسان حيث كان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وتراحت الأسرة وتآلفت وتحابت ، لما اقتدت برحمة الله في معاملته لزوجته وولده وخدمه ومواليه ، فاستقت الأسرة المسلمة من نبع الرحمة الفياض ، واتبعت أثر النبي صلى الله عليه وسلم في حياته مع أسرته شبرا بشبرا ، وذراعا بذراع .

رحمة الله للعالمين وامهات المؤمنين :

وكاف رحمة التي بعثه الله بها للعالمين من أهم دوافعه في زواجه صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين .

فقد تزوج « سودة بنت زمعة » رضى الله عنها بعد موت زوجها ليعولها . وكان زوجها من السابقين في الاسلام .

وتزوج « أم سلمة » رضى الله عنها بعد موت زوجها اثر جراحه في غزوة « أحد » ليعولها هي وأولادها .

وتزوج أم حبيبة « رملة بنت أبي سفيان » رضى الله عنها ، وكاف ممن أسلموا وهاجروا الى الحبشة ... وهناك تنظر زوجها ... وتركها فريسة الخوف من عقاب أبيها ان عادت الى مكة المكرمة ... والخشية من الغربة دون زوج وولد ومال ان بقيت في الحبشة ... فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنها من انتقام المشركين ان عادت ... أو آلام غربتها ان آثرت البقاء في الحبشة ...

وتزوج صلى الله عليه وسلم « زينب بنت خزيمة » بعد أن استشهد زوجها عبد الله بن جحش رضى الله عنه في غزوة « أحد » ... تزوجها وتكفل بها ، اذ لم يكن لها كفيل من قومها .

وتزوج صلى الله عليه وسلم « صفية بنت حيي » بعد أن هلك زوجها وأخوها ... وهلك معهم أبوها سيد بنى قريظة في قتالهم المسلمين ... ووقعت في سهم جندي لا يعلم عنها شيئا إلا أنها أسيرة حرب ... فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحالها وخيرها بين أمرين .. اما أن يردها الى أهلها أو يعتقها ويتزوجها ، فاختارته وآثرته على قومها وأسلمت ودخل بها مسلمة رضى الله عنها .

وتزوج « جويرية بنت الحارث » ... وكانت من سبايا غزوة « بنى المصطلق » ... فتزوجها بعد أن أعتقها ... فصارت من أمهات المسلمين بعد أن كانت أسيرة حرب لا يعلم مالكمها من أمرها شيئا ...

ثم حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الاقتداء به ، فأطلقوا سباياهم ... فأسلموا ... وحسن إسلامهم فكانت خيرا وبركة على قومها جميعا .

وتمثل قصده الكريم في حياة أسرية متحابية متراحمة ... وكانت مثالا للأسرة المسلمة التي أرادها رسول الله صلى

الله عليه وسلم للمسلمين ، والتي اهتمى بها صحابته رضوان
الله عليهم فأقاموا بدورهم أسرا متوادة متألقة •

رحمة الله للعالمين وأهل بيته :

إن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لتعبر أدق تعبير عن
رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرته وذلك في حديثه الشريف
الذي قال فيه : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي» (١) •

لقد كان صلى الله عليه وسلم خير العالمين لأهله ، وهو
يعاونهم فيما يعملون ، ويرشدهم الى ما لا يعلمون ، ويعف
لهم ما يجهلون ، ولا يخلهم ما لا يطيقون •

ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها : « ما كان النبي
يصنع في بيته ؟ » قالت : يكون في مهنة (*) أهله ، فاذا حضرت
الصلاة قام الى الصلاة » (٢) •

كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف من عمل في بيته ، وكان
يخيط ثوبه ، ويخصف نعله •

وكان رفيقا بأهله ، وكان يوصى أهله بالرفق بأنفسهم
وبمن حولهم •

(١) رواه أبو حبان • (*) بفتح الميم : راجع المختار •

(٢) رواه البخارى •

عن عائشة رضى الله عنها قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة ارفقى فان الله اذا اراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق » (٣) .

وكان الرفق سمة من سمات أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وروحا ملائكية سرت في تعاملهم وتعاطفهم .

وكانت الرحمة والمودة والألفة هي اللغة التي تتحدث بها أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد انسابت من موردها هينة لينة في مشاعر الأسرة ، فاستقت من رحمة الله للعالمين لما رآته أمامها نبعا فياضا بالرحمة ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما ، الا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه ، الا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى » (٤) .

رحمة الله للعالمين وحادثة الإفك :

ولم تقتصر رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرته على اليسير من أمور الحياة ، بل انه كان يسع بقلبه الكبير الكثير من منغصاتها .

(٤) رواه مسلم .

(٣) رواه احمد والبخاري .

لقد رأت العرب .. وأمة الاسلام رخصته بأهله لما
انطلقت السنة السوء تنهم أم المؤمنين رضى الله عنها مع
صفوان بن المعطل فى عودتهما من غزوة بنى المصطلق .

ذلك أن أم المؤمنين تأخرت عن الركب وكان صفوان
ابن المعطل خلف الركب ، فعاد بها الى المدينة المنورة ، وابتلى
بيت النبوة بالقييل والقال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع ما يقال من أهل الافك والضلال على بيت طهره ربه
واصطفاه ولا يجرح مساعر أهله ولو بنظرة جارحة .

فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم برحمته التى
وسعت حماقات البشر حتى تنزلت الرحمات من السماء تبرئ
أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى قوله تعالى :

« ان الذين جاءوا بالا فك عصبة منكم ، لاتحسبوه شرا
لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ،
والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (٥) .

وكانت حادثة الافك عظة وعبرة لأمة الاسلام ، وترجمه

صادقة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال .
« ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رحم بصبره
على أقوال أهل الافك ، وحكمته في معالجة أمره ، ورحمته بأهله
المسلمين حتى لا يقيموا الدنيا لقالة خبيثة يطلقها فاسق ، يريد
السوء الأسرة متراحمة

ولقد امتزجت مشاعره بشاعر أهله ، وصار يرى بنور
بصيرته ، ونقاء سيرته ، وصفاء قريحته ، وسمو نفسه ،
ورقيه الروحي خلجات نفوسهم ، وهمسات صدورهم ، فيتألم
إذا تألموا ، ويفرح إذا فرحوا .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم « انى لأعلم اذا كنت عنى راضية ، واذا
كنت على غضبى » فقلت : من أين تعرف ذلك ؟

فقال : « اذا كنت عنى راضية فأفك تقولين : لا ورب محمد
واذا كنت على غضبى . قلت : لا ورب ابراهيم .

قلت : أجل . والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك » (٦).

(٦) مسعن عليه .

وصايا الشريفة للأسرة :

نالت الزوجة حظها من الرحمة ، وتعددت أحاديثه ،
ووصاياه ، وخطبه التي تناول فيها الزوجة وبين فيها للزوج
ضعفها ، ودعاه الى الرفق في معاملتها ، واضعا في اعتباره طبعها ،
ورقة مشاعرها •

قال صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيرا ، فان
المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وان أعوج ما في الضلع أعلاه ،
فان ذهبت نقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا
بالنساء خيرا » (٧) •

وذكرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بطبعنا الذي لازمنا
منذ بدء الخليقة ، والذي نالت المرأة منها — بحكم جنسها — منه
الحظ الأكبر •

ذلك أن ابن آدم خطاء بطبعه ، والمرأة أكثر خطأ من
الرجل لذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الزوج ليضع
هذا النقص في اعتباره ان أخطأت زوجته ، ويذكر لها ما قدمته له
من طيب القول وصالح العمل •

(٧) متفق عليه •

وأوصاه بأن يزن أعمالها ١٠. ويضع في كفة ميزانها حسناتها وسجايها الحميدة أن أثارت يومًا ما نقیصةً ياباها .

... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ٠٠١٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك^(٨) مؤمن مؤمنة أن كره منها خلقا رضي منها آخر ، أو قال : « غيره »^(٩) .

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق الزوجة على زوجها ، وحدث بأن من أولى حقوقها النفقة عليها ٠٠٠ وقيامه بشؤونها ٠٠٠

عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال « أن تطعمها إن طعمت ٠٠٠ وتكسوها إذا اكتسيت ٠٠٠ ولا تضرب الوجه ١٠ ولا تقبح ٠٠ ولا تهجر إلا في البيت »^(١٠) ٠٠٠٠

: ٠٠١٠٠ وللزوج حقه الذي يبينه الأحاديث الشريفة ٠٠ هذا الحق الذي أن التزمت به الزوجة دخلت الجنة كما بشرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

(٩) رواه مسلم .

(٨) يبغض .
(١٠) رواه مسلم .

« اذا صلت المرأة خمسها ،، وحصنت فرجها ،،،
وأطاعت بعلمها ،،، دخلت الجنة من أى الأبواب شاءت » (١١) .

ثم كان هذا الحديث النبوى الشريف الذى بين فيه مقام
الزوج ،، والذى لا يعلوه مقام ،،،، ولا تعلوه منزلة ،، والذى
ان التزمت به الزوجة كانت ريحانة حياته ،،،، وسكينة نفسه
،،،، وطمانينة قلبه ،،، فلا تقع عينه ،،،، ولا أذنه منها على
فبيح يؤذى مساعره ،،،، ويعكر صفو حياته ،،،،

هذا الحديث الشريف الذى وضعه الاسلام وساما على
جبين المودة والألفة والطاعة والمحبة بين الزوج وزوجه ، والذى
قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت آمرا أحدا
أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (١٢) .

رحمة الله للعالمين واختيار الزوجة الصالحة :

ان الأسرة المتعاطفة المتراحمة المتآلفة المتعاونة لبنة صالحة
لصرح اجتماعى شامخ ، غايته الأولى سعادة البشر فى الدنيا
والآخرة ،،،،،

(١١) رواد ابن حبان فى صحيحه .

(١٢) رواه الترمذى .

هذه الأسرة لم تكن لتلتقى الا على دعائم من الرضا والقبول والوفاق النفسى والروحى ... وعلى أسس تتفق وطبيعة البشر وتكوينهم الثقافى .. وعاداتهم .. وأخلاقهم ... ومطبقاتهم الاجتماعية وميولهم وأمزجتهم المختلفة .

... لذلك دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نختار المرأة التى نبنى معها الخلية الأولى للمجتمع .. فان صلحت صلح المجتمع كله ، وان فسدت فسد المجتمع كله ...

ولم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الا على بينه من الأمر ... فأوصاهم باختيار الزوجة التى ترغب المراء نكاحها وبين لهم السبيل الى ذلك وقال : « اذا خطب أحدكم المرأة ، فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » ولأن ما يدعو الزوج الى نكاح المرأة يختلف من فرد الى آخر .. لاختلاف الميول والأفكار ..

ولأن الأرواح منها ما تأتلف ... ومنها ما تختلف ... لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتباعه السبيل الى المفاضلة لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، والتى تدعو الرجل الى اختيار زوجته فقال : « ... تنكح المرأة لأربع لمالها ... ولحسبها ... ولجمالها ... ولدينها ... فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١٤) .

(١٣) رواه مسلم وأبو داود ، والحاكم ، والبيهقى .
(١٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الرجل الى اختيار الزوجة ذات الدين الا لأسباب بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ... وذكر فيه ... أن ما دون الدين وهم زائل ... وظل غير وارف ... وفتنة وغواية وضلال ...
... فالمال وقد يفتن به الرجل ويختار به زوجة قد يكون فيه الخسران المبين ... وقد يكون فيه الفساد والافساد الخلقي ...

ذلك أن وظيفة المال في الاسلام يبينها آيات الله البينات ... وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ... فهو أولا وأخيرا مال الله ... ووسيلة لتحقيق غاية ... وليس غاية في ذاته ...

فان جعلنا الوسيلة غاية صارت وبالا ... وهلاكاً ...
وخساراً مبيناً ...

والجمال ... وقد يختار به الرجل زوجة قد تفتن به المرأة عن زوجها ... وترد به موارد الرذيلة ان لم يكن مع الجمال تربية وخلق ودين وضمير يقظ يصونه ويحميه ...
وهو مع هذا ظل زائل ... وعرض له أجل محدود يصير بعده وكأن لم يكن ...

لهذا حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء العاقبة ان جعلنا المال أو الجمال غاية ... وقال : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ... ولا تزوجوهن

لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ٠٠٠ ولكن تزوجوهن على الدين ، والأئمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل « (١٥) .
والرسول صلى الله عليه وسلم وهو يهدينا إلى خير السبل في اختيار الزوجة الصالحة إنما يعنى صلاح الأسرة ، فالمجتمع .
فالزوجة ذات الدين غرس لا يثمر إلا خيراً ٠٠٠ فهي تعامل زوجها وترعاه في حله وترحاله ٠٠ وتحفظه في عرضه وماله ،
وتربى أولاده على البر والتقوى من منطلق الطاعة لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ٠٠

ومن هذا شأنها تؤتي بفضل ربها ثمار اخلاصها بنين وبنات يعرفون حق الله وحق الوالدين وحق المجتمع والانسانية ،
ويسهمون في اعلاء كلمة الله في قولهم وفعلهم ٠٠٠ ويلتزمون بما أمرهم به ربهم حتى يلقوه راضين مرضيين بأذنه ومنه ٠٠٠

ان الزوجة الصالحة لهي المدرسة الأولى التي تستقبل هذه القلوب الخضراء ٠٠ وهذه الأرواح الطاهرة .
٠٠٠ وهي التي تخط بقلبها الطاهر ٠٠٠ وقولها الطيب ٠٠٠ وسلوكها القويم أول كلمات تهدي الصغير إلى طريق الهدى والصلاح ٠٠٠

وهي التي تزيد زوجها هدى ان رأته يترسم خطى نبيه ويلتزم بآيات ربه ٠٠٠ وتقومه برقتها ٠٠٠ وصفاء سريرتها ان اتبع هواه ٠٠٠ وضل سعيه وأنسته دنياء أمر أخراه ٠٠٠

(*) رواه ابن ماجه .

لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اختيار الزوجة لعسبها أو لعزها في قومها سراب وهم وباطل ، وقال في حديثه ، « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا .. ومن تزوجها لعسبها لم يزد الله الا دناءة ومن تزوجها لم يرد بها الا ان يفض بصره ويحصن فرجة .. او يصل رحمه .. يارك الله له فيها .. » وبارك لها فيه « (١٥) » .

رحمة الله للعالمين ومنزلة الزوجة في الاسلام :

لم تعد المرأة في الاسلام سلسة تباع وتشترى بعد أن رد الله لها آدميتها وكرامتها بمبعث رحمة الله للعالمين . . . ولم يعد لوليها أن يفرض عليها زواجا .. بعد أن بين لها رحمة الله للعالمين حقوقها

لذا كانت المرأة تسرع اليه ان أصابها من وليها ما يذهب بحريتها في اختيار زوجها وسرعان ما يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق لذويه ويبين للعالمين أن النساء لم يعدن عارا يلحق بالأسرة تلفظنها حية بزواجها أو ميتة بوأدها

.... بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ولي فرض على ابنته ابن أخيه .. فذهبت الى أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها تشكو أباهما وتقول :

« ان أبى زوجنى ابن أخيه ليدفع بها خسيسته وأنا كارهة »

(١٥) رواء الطبرانى فى الاوسط .

... فقالت لها : « ... اجلسى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ... فأرسل الى أبيها فجعل الأمر اليها فقالت الفتاة :
« يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى انما أردت أن أعلم
الناس أن ليس الى الآباء فى الأمر شيء » (١٦) .

رحمة الله للعالمين والأولاد :

وتعشت رحمته صلى الله عليه وسلم الأسرة كلها ، وكان
لكل من أفرادها حظه من رحمته صلى الله عليه وسلم ..

كان للأولاد حظهم من الرحمة التى من الله بها على عباده
... فقد أوصى بتعليمهم الصلاة منذ طفولتهم .. حتى تعمروا
القلوب الظاهرة بالايمان ، قال صلى الله عليه وسلم : « مروا
أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ... واضربوهم عليها
وهم أبناء عشر ... وفرقوا بينهم فى المضاجع » (١٧) .

ذلك أن من آمن بربه وركع وسجد حامدا شاكرا فعماه
... وصلى وصام ... صغيرا ... داوم على ايمانه ... ووصل
والديه وبرهما كبيرا ... وانطلق فى حياته يسهم فى رخاء مجتمعه
... وتعاهده بكل معانى الخير ... ويبدل فى سبيل المسلمين جهده
وماله ... ولا يلخر وسعا فى العطاء لا يبتغى به الا وجه ربه .
وتجلت رحمته صلى الله عليه وسلم وهو يوصى الصحابى

(١٧) رواه أبو داود .

(١٦) رواه النسائى .

سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بابنته .. لما جاءه في مكة المكرمة يعود .

وكان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يستشير في القدر الذى يوصى به لابنته بعد أن يلحق بالرفيق الأعلى ..

.. عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : « جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت : يا رسول الله قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثى الا ابنة أفتصدق بثلى مالى ؟ .. قال : لا .. قلت : فالشطر يا رسول الله ... قال : لا .. قلت : فالثلث ... قال : الثلث .. والثلث كثير .. انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ... وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها حتى ما تجعل فى امرأتك ... قال : قلت يا رسول الله .. أخلف بعد أصحابى ؟ قال : انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغى به وجه الله الا ازددت درجة ورفعة ، ولعلك ان تخلف حتى ينتفع بك أقوام .. ويضر بك آخرون .

اللهم امض أصحابى هجرتهم .. ولا تردهم على أعقابهم ... لكن البأس سعد بن خولة » (١٨) .
(يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة المكرمة) .

(١٨) متفق عليه .

وحتى يشب الأولاد متحايين متآلفين ، أبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الآباء أن يؤثر بعض الأبناء على اخوتهم ...
وأوصى الصحابة رضوان الله عليهم أن يتقوا الله فى أولادهم
ويسووا بينهم فى العطاء ...

... عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انى نطت ابنى
هذا غلاما كان لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أفعلت هذا بولدك كلهم !؟ » .

قال : لا . قال : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » .
وكان صلى الله عليه وسلم يختار الأسماء الحسنة التى
لا تنفر السامعين ولا تدعو الى السخرية ...

... وقد فعل ذلك مع حفيده الحسن اذ غير اسمه ..
وقد سماه أبوه من قبل حربا .

... وأوصى المسلمين أن يختاروا الأبنائهم الأسماء الحسنة
وقال : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء الى الله
عبد الله . وعبد الرحمن . وأصدقها حارث وهمام ...
وأقبحها حرب ومرة » (١٩) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته صلى الله عليه
وسلم نابضة بالحياة وهو يسرع الخطى الى ابنته فاطمة رضى
الله عنها لما سمع بكاء الحسن رضى الله عنه وهو يقول :
« ألم تعلمى أن بكاءه يؤذنى » .

(١٩) رواه أبو داود .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته أمام أعينهم وهو يسقى ولده الحسن من نبع رحمته ويقبله ، وعنده الأقرع بن حابس ... ويقول الأقرع :

« ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا » .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم لا يرحم » (٢٠) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته صلى الله عليه وسلم يوم أطال السجود ... فسألوه وقالوا : « لقد أطلت سجودك يا رسول الله » .

قال : « ان ابني ارتحلنى فكرهت أن أعجله » .
ثم رأوا بأعين رؤوسهم رحمته صلى الله عليه دموعا يذرفها على ولده ابراهيم وهو يجود بنفسه .

... عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه ... فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان .. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ... وأفت يا رسول الله ؟؟ ... فقال : ... يا ابن عوف انها رحمة ، ثم اتبعها بأخرى ... فقال صلى الله عليه وسلم : « ان العين تدمع ... والقلب يحزن ... ولا تقول الا ما يرضى ربنا ... وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » (٢١) .

(٢٠) متفق عليه . (٢١) رواه البخارى ومسلم .

ولقد كان ابتلاؤه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ...
 فالأسرة التي تنعم بصغارها ... وتشرق وجه الحياة ببراءة
 أبنائها ... قد تصاب في فلذات أكبادها ... وقد تمتد
 يد الموت تقطف زهرة يائسة .. أو شابا افتتن به من حوله
 وامتدت آمالها في غده .. عالما ... أو طبيبا ... أو مهندسا .
 ... وحينذاك لا تجد الأسرة الا هدى رسولها صلى الله
 عليه وسلم ... وصبره على ولده قدوة لها ... وحديثه الشريف
 تصطبّر به ... كلما حاول الشيطان أن يكيد ويمكر ... ويعيث
 في القلب فسادا .

... لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
 بالصبر اذا ابتلاهم ربهم في أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم وقال:
 » من يتصبر يصبره الله ... وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع
 من الصبر ... « (٢٢) .

وحتى يكون هذا الصبر عن بينة لما ادخره الله له .. بين
 للعبد الصابر جزاء صبره وقال :

» اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم
 ولد عبدي ؟ ... فيقولون : نعم ... فيقول : قبضتم ثمرة
 فؤاده ؟ ... فيقولون : نعم . فيقول : فماذا قال عبدي ؟ ...
 فيقولون : حمدك واسترجع .. فيقول الله تعالى : ابنوا
 لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد « (٢٣) .

(٢٣) رواه الترمذى .

(٢٢) متفق عليه .

ثم يبين صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن في البلاء تكفيرا للذنوب ، وأن العبد لا يزال في بلاء حتى يلقي ربه بلا خطيئة بعد أن طهره الله من ذنوبه بما ابتلاه به في دنياه .
 . . . وفي هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم :

« ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة » (٢٤) .

وحتى يتذرع العبد المسلم بالصبر ويتقى به همزات الشيطان يحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله لا يبتلى الا من أحبه .

. وجب الله غاية العبد المسلم ، فإن أنعم الله بحبه جزاء صبره فمن أطاعه في الدنيا من الله عليه بها II ثم استردها فأنعم به من بلاء III ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم يشره بهذا الفوز العظيم في الحديث الشريف الذي قال فيه :

« ان عظم الجزاء مع عظم البلاء . وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » (٢٥)
 ويوم يدرك العبد المسلم أنه باشتداد بلائه يزداد قربا من ربه تهون عليه الدنيا بل تهون عليه نفسه التي بين جنبيه يقدمها فداء بين يديه حتى تتحقق له هذه المرتبة السامية

(٢٤) رواه الترمذى .

(٢٥) رواه الترمذى وابن ماجه .

من الرضا والرضوان كما بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال :

« أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل » (٢٦) .

رحمة الله للعالمين واليتيم :

ان هذه الرحمة الربانية التي وسعت الأبوين اذا فقدوا أحد الأبناء بعد أن كان يملأ الدار بهجة ... والقلب أنسا ... والنفس راحة لم تدع الصغير نهبا لعائلة الزمان اذا فقد أحد أبويه أو كلاهما ... بل أوصى بكفالاته وبشر كافله بالجنة وقال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالمسبابة والوسطى وفرج بينهما » (٢٧) .

وحسب اليتيم رحمة أن يكون أكرم الخلق منزلة عند الله يتيما ... وما زاده يتمه الا اقبالا على ربه ، فأواه وهده ، وأوصاه باليتيم يشفق عليه ويرعاه ... قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث ﴿ (٢٨) .

رحمة الله للعالمين والوالدين :

ان رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغير حتى يقوى ويستوى عوده لم تكن لتدع الكبير ساعة ضعفه ومرضه

(٢٦) رواه ابن ماجه والنرمذى .

(٢٨) الضحى : ٦ - ١١

(٢٧) رواه البخارى .

وحاجته الى من يأخذ بيده فهو أولى بالرحمة
وأحق بها .

... لذا قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق
الوالدين بالشرك بالله ... والشرك ظلم للنفس كبير .

... والذنوب مهما عظمت يغفرها الله ان شاء الا الشرك
كما قال في كتابه الكريم ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٢٩) .

واقتران عقوق الوالدين بالشرك بالله دليل على أنه جرم
عظيم ... وكبيرة لا يرضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأتباعه المسلمين .

... بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف
رواه سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال ... قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر
الكبائر ... قلنا : بلى يا رسول الله .. قال : الاشرار
بالله ... وعقوق الوالدين .. وكان متكئا فجلس فقال :
« ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا
ليته سكت » (٣٠) .

(٢٩) سورة النساء : ١١٦
(٣٠) رواه البخارى ومسلم .

وكما فرز رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين بالشرك بالله ... قرنت آيات الله البيّنات الاحسان الى الوالدين بعبادة الله وحده فقال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يلغى عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ (٣١) .

وفي كل مقام يقتضى توجيه المسلمين الى بر الوالدين تتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم بهما حتى وانه اوصى من ترك والديه يكيان وجاء يبايعه على الهجرة أن يعود اليهما ويحسن اليهما .

... عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ... جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئت ابايعك على الهجرة وركت أبواي يكيان .. فقال : « ارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما » (٣٢) .

ثم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين قد يفضل الجهاد في سبيل الله ان دعا الأمر ذلك .

(٣٢) رواه أبو داود .

(٣١) الاسراء : ٢٣

... عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما
قال ... جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في
الجهاد ... فقال : أحى والدك ؟ ... قال : نعم ... قال :
ففيها فجاهد (٣٣) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماثلة أمام أعينهم ، فأيقنوا أن عقوق
الوالدين يأخذ بيد العاق الى النار ... وأن رضاها وشفاعتها
فيه الرضا .. والمغفرة .. والرحمة من الله .

روى الطبراني وأحمد عن عبد الله بن أبي أوفى رضى
الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت
فقال : شاب يجود بنفسه ... فقيل له : قل لا اله الا الله
فلم يستطع ... فقال صلى الله عليه وسلم : كان يصلى ؟ ...
فقال : نعم ... فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
ونهضنا معه ... فدخل على الشاب فقال : قل لا اله الا الله ...
فقال : لا أستطيع ... قال : لم ؟ ... قالوا : كان يعق والدته ..
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أحيه أمه ؟ ... قالوا :
نعم ... قال : ادعوها .. فدعوها .. فجاءت .. فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : هذا ابنك ؟ .. قالت : نعم ، فقال
لها : أرايت لو أجبت فارا ضخمة فقيل لك : ان شفعت له

(٣٣) منفق عليه .

خلينا عنه ... والا حرقناه بهذه النار ... أكنت نشفعين له ؟ ... قالت : يا رسول الله .. اذن أشفع ... قال : فأشهدى الله وأشهدينى أنك قد رضيتى عنه .. قالت : اللهم انى أشهدك ... وأشهد رسولك انى قد رضيت عن ابنى ... فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام ... قل لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله فقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى أنقذه من النار ... (٣٤) .

وبر الوالدين دائم ومتصل ... والصلة بهما بعد لحاقهما بالرفيق الأعلى لها سبل عديدة ينتها الأحاديث الشريفة .

... وكما أن اكرامهما فى حياتهما رحمة من الله ... ونعيم مقيم ...

كذلك اكرامهما بعد لحاقهما بالرفيق الأعلى ... رضا من الله وفوز كبير ..

... عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال :

(٣٤) رواه الطبرانى .

« بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ... هل بقى
من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ ... فقال : نعم ...
الصلاة عليهما ... والاستغفار لهما ... وإتفاذهما من
بعدهما ... وصلة الرحم التي لا تصل إلا بهما ... وإكرام
صديقهما » (٣٥) .

وبفضل الله وكرمه ورحمته بعباده يصل هذا البر الى
إبوالدين وهما بجوار ربهما ... ويرفع الله بدعاء ولدهما
درجاتهما فى الجنة ، كما أخبرنا بهذه المنة وهذا الإحسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان الله يرفع الدرجة للعبد
الصالح فى الجنة ... فيقول يا رب أنى لى هذا ؟ ... فيقول .
باستغفار ولدك (٣٦) .

رحمة الله للعالمين والموالى والخدم :

أما رحمته صلى الله عليه وسلم بالموالى والخدم فحسبنا
دليلا على معاملته السامية ما ذكره أنس بن مالك رضى الله
عنه ، والذي خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له عن شيء فعله
لم فعلته ؟ ... وعن شيء لم يفعله : لم لم تفعله ؟ ...

(٣٥) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم .

(٣٦) رواه أحمد .

كان صلى الله عليه وسلم رفيقا بخدمه وكان يوصى
أتباعه بالرفق ويدعو السيد أن يعامل خادمه بأخوة
الاسلام يطعمه مما يطعم .. ويلبسه مما يلبس .. ولا يحمل
ما لا يطيق

... عن المعرور بن سويد قال : « ... رأيت أبا ذر رضى
الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها ... فسألته عن ذلك ..
فذكر أنه سأل رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغيره بآمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

انك امرؤ فيك جاهلية ... هم اخوانكم وخولكم
جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده
فليطعمه مما يأكل .. ويلبسه مما يلبس .. ولا تكلفوهم ما يغلبهم ..
فان كلفتموهم فأعينوهم » (٣٧) .

أما الرقيق فقد جنوا ثمار رفقهم بهم وأعطوا إلى عدالة
السماء لما شعروا بتكريم الاسلام اياهم هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو المالك أن لا يرفع على العبد سوطا ، ويذكره
بأن قدرته على ماله محدودة وقدره الله عليه لا حدود
لها ..

(٣٧) منفق عليه .

عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى : « اعلم أبا مسعود » فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو يقول : « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » . فقلت : لا أضرب مملوكا بعينه أبدا (٣٨) .

ان هذه الوصية الرحيمة كانت عن مملوك أتى حدا ، أما ذلك الذى لم يأت حدا واعتدى عليه مالكة ظلما وعدوانا . . فكفارة عدوانه أن يعتقه كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من ضرب غلاما له حدا لم يأت له أو لطمه فان كفرته أن يعتقه » (٣٩) .

أما الاماء فكن أولى بالرحمة من العبيد ، لأنهن ضعيفات بطبعهن ، وأمرهن فى يد مالك رقابهن ، والرسول صلى الله عليه وسلم أنما بعثه الله رحمة للعالمين ، للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

لذلك أوصى بالاحسان اليهن ، وتعليمهن ، وتأديبهن ، وبقر المالك بضعفين من الأجر ان فعل بأمته ما أوصاه به فى حديثه ، ثم تزوجها وقال :

(٣٩) رواه مسلم .

(٣٨) رواه مسلم .

« ثلاثة لهم أجران • رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وآمن بمحمد • والعبد المملوك إذا رأى حق الله وحق مواليه • ورجل كانت له أمة فأدبها ، فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها • ثم أعتقها فتزوجها ، فله أجران » (٤٠) •

وكانت رحمته نجسيميا لنظرة الاسلام للرق الذى ضيق أسبابه ، وفتح أبواب العتق على مصراعيها • وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاد يضع أيدينا على هذه الحقيقته حيث قال :

« لقد أوصانى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » •

ولقد أغلت رحمته صلى الله عليه وسلم الأسرة لما أوصاها بصلة الرحم وقال :

« الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله » (٤١) •

ان الذى يصل رحمه يصل معانى الخير ، وفضائل الأعمال ، ومكارم الأخلاق •

(٤٠) منفق عليه .

(٤١) رواه البخارى ومسلم .

فهو في صلته لرحمه يبر والديه كما بين له ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، .. يبرهما وهما في جوار رحهما
بصلته لذوى الرحم التي لا توصل الا بهما •

وهو في صلته برحمه يهندي بمبادئ الاسلام السامية
التي جعلت المؤمن مع أخيه المؤمن أعضاء في جسد واحد •
وهو في صلته برحمه يدعم بناء الأمة الاسلامية التي تحمل
مشاعل النور تهدى بها الناس الى صراط الله المستقيم •

وهو في صلته برحمه ينسارك أهله في السراء والضراء
ويجود عليهم بما يمن الله عليه من فضل •

وواصل الرحم ينعم بما من الله عليه من فضل في الآخرة
والأولى ، ويهنا بالبركة نعم داره وعمره ورزقه كما بشره بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ،
فليصل رحمه » (٤٢) •

ولأن النفس البشرية لا تقبل على العمل الا ان وجدت
مرتعا خصبا •

(٤٢) متفق عليه •

وحتى يقبل المسلم على صلته برحمه دون أن يأبه لنفس مريضة تنكر عمله الصالح».

وكى لا تشعر النفس بأسى ان قاطعه أهله وهو يصلهم ، وأساءوا اليه وهو يحسن اليهم ، أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نمضى فى صلاتنا بالرحم وان جار عذيب الأهل .

... عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال .
« يا رسول الله انى لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسئون الى وأحلم عنهم ويجهلون على .

فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل^(٤٣) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »^(٤٤) .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لأتباعه ، يقتدون به فى صلته لرحمه ... فقد وصلهم فى حياتهم .. ولم يقطع صلته بهم بعد مماتهم ... ولا أدل على ذلك من ذكره خديجة رضى الله عنها بعد موتها ، حتى وانه كان يذبح الشاة ويبعث منها الى أصدقاء خديجة رضى الله عنها كما تروى ذلك عائشة رضى الله عنها .

(٤٤) رواه مسلم .

(٤٣) الرماد الحار .

ولم تقتصر صلته صلى الله عليه وسلم على من حوله من أقربائه بل امتدت صلته بهم في أعماق الزمان حتى انه أوصى بذرى رحمه من أهل مصر وقال :

«... ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط» (٤٥)
 فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » •

رحمة الله للعالمين والجار :

وتسع رحمته صلى الله عليه وسلم الجار كما وسعت ذوى الرحم ... فيدعو الأسرة أن تحفظ حق الجار في صحته ومرضه ، وفي قوته وضعفه ، وفي غناه وفقره ، وأن تحرص على معاوته وتتجنب أذاه ، وأن تحفظه في زوجه وماله وولده ، وأن لا تؤذيه في مشاعره ، لأن الجار أقرب الناس اليه في السراء والضراء ... يبذل لدفع الضر عنه ما يملكه من جهد •

... لذا أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان
 عن يؤذى جاره ، وقال : « والله لا يؤمن ... والله لا يؤمن ..
 قيل : من يا رسول الله ؟ .. قال : الذي لا يأمن جاره
 بوائقه » (٤٦) •

(٤٥) جزء من الدينار والدرهم كان يتعامل به أهل مصر •
 (٤٦) متفق عليه •

فالإيمان بالله أمن وأمان... ومعاملة كريمة للناس تعكس
أمن النفس وطمأنينة القلب •

... ومن يؤذ جاره فقد لفظ الإيمان من قلبه •

وحتى تأتلف الأرواح ، وتتألف النفوس أوصى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العبد المسلم بأن يتعهد جاره ، ويطمعه
بما من الله عليه من فضل ، وأوصى أبا ذر الغفاري رضي الله
بذلك وقال : « يا أبا ذر اذا طبخت مرقه فاكثر ماءها وتعاهد
جيرانك » (٤٧) •

ذلك لأن للجار منزلة ومكانة عند الأسرة التي يجاورها ،
وله حقوق لا تقل عن حقوق أفرادها ، كما بين ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه
سيورثه » (٤٨) •

حقا يا رسول الله... ان للجار مكانة ومنزلة عند جاره ،
وله حقا بينته في حديثك الشريف حتى كاد أن يورث مع أفراد
الأسرة •

• (٤٨) منفق عليه •

• (٤٧) رواه مسلم •



حقاً يا رسول الله ♦♦ فإن أخوة الدين ارتقت أو كادت أن
ترتقى الى أخوة النسب فيما شرعه الله من حقوق ♦

حقاً يا رسول الله ♦ فيما رحمة من الله الرحمن الرحيم
رحمت الأسرة زوجا وزوجة ، فتأخت بنين وبنات ، وتلاحمت
موالي وخداما ، وتعاونت رحما وجارا ، فكانت بمنة الله خير أسرة
في أمة ♦

* * *

قال تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

سوره آل عمران (آية : ١٠٣)

المجتمع العربي المسلم

رحمة الله للعالمين والعرب :

توافرت للعرب بعد الاسلام كل مقومات الأمة المتحصرة ، فانطلقت ترتاد شتى مجالات العلوم والمعرفة ، وتنهل من منابع النور والحكمة ، وتسهم في اعلاء شأن الانسان من منطلق العبودية لله وحده ، بعد أن تحررت من كل قيد يعوق إنطلاقها الى دنيا المثل العليا ، والقيم النبيلة ، والأخلاق السامية ، والتعاون المستمر الذي جاءت به مبادئ الاسلام السامية .

وتحقق هذا التحول المعجز بفضل رسالة السماء ، وجهاد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم . بعد أن رأت العرب الرحمة الربانية في نبيا قولاً ، وفعلًا ، وسلوكًا ، ومعاملةً ، وخلقًا ، ظاهرًا ، وباطنًا .

رأتها العرب فاقتدت به واهتدت وصارت بفضل ربها نورًا يشرق في الآفاق بعد أن كانت نارا تحرق الأصدقاء والأعداء . ووسعت أخلاقه صلى الله عليه وسلم الشتات من القبائل ، والأجناس ، والفئات الاجتماعية المتفاوتة ، فصارت بنعمة الله مجتمعًا متجانسًا ، بينت آيات الله تكالفة الروحي ، وتعاطفه الانساني في قوله تعالى :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمته
الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك
يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (١) .

ورأت العرب سمو نبيهم الوجداني ، وسموه الروحاني
في تواضعه الذي عبر عنه أنس بن مالك رضى الله عنه وقال :
« ... أن كانت الأمة من اماء المدينة لتأخذ بيد النبي صلى الله
عليه وسلم فتنتطق به حيث شئت » (٢) .

... ثم أراهم الرحمة وهو يهدى النفوس الى العبادة التي
يرضاها ربنا ... فأبى عليها أن تتبع سنن من قبلهم ...
فيقدسونه كما قدسوا أنبياءهم ... وينتهون الى حيث انتهوا
فيعبده من دون الله ...

لذا كان يحذرهم من القيام له تعظيما ويقول :
« ... لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا ... »
... (٣) .

وكان يدعوهم الى معاملته كبشر أوحى اليه برسائله ...
ويوصيهم بأن ينزلوه حيث أنزله الله ...

(٢) رواه البخارى .

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) أخرجه ابن داود .

عن أنس رضى الله عنه قال : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ياخيرفا وابن خيرنا ... وسيدنا وابن سيدنا ... ههال النبي صلى الله عليه وسلم : « قولوا ما أقول لكم ... ولا يستهوينكم الشيطان .. أنزلونى حيث أنزلنى الله ... أنا عبد الله ورسوله ... » (٤) .

وكان يحذرهم من اتخاذ قبره مسجدا يعبدون فيه ربهم كما فعلت اليهود والنصارى من قبل حتى لا يتسلل الشرك الى نفوسهم ويوردهم موارد الهلاك كما فعل بسابقيهم .

واطمأنت قلوبهم ، وهدأت نفوسهم ، وأيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ييغ بما يدعوهم اليه جاها ولا سلطانا وحسبهم أحاديثه التى دعتهم الى عبادة الله وحده حيث قال : ولعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تفعلوا وكررها ثلاثا (٥) .

وحتى يقطع على الشيطان سبيله قال صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيتما كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى » .

وبهذا الحديث الشريف أغلق أبواب الغواية ، وسد عليه

(٤) أخرجه أحمد عن أنس . (٥) رواه مسلم .

سبل الضلال حتى لا ينحذ أنبأه قبره مسجدا بحجة ظاهرها
الرحمة وباطنها العذاب •

مجتمع الحب فى الله :

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعا متحابا
فى الله بعد أن اقتلع من النفوس همسات الحقد ، ونزغات
البغض ووساوس الكراهية ، وبعد أن آلف القلوب وهداها الى
خالقها ، فانشغلت بحسده ، وتسبيحه ، والثناء عليه ، وتمجيده ،
وبعد أن شفى النفوس من أمراضها التى مزقتها من قبل اربا ، كما
صور ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف
وقال :

« دب اليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، والبغضاء
هى الحالقة ، ليس حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذى
نفسى بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى
تتحابوا ، ألا أبئثكم بما يثبت ذلك افشوا السلام بينكم » (٦) •

وقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث
الشريف الايمان بأسمى عاطفة لينالوا به أنبل غاية يوم اللقاء ...

(٦) رواه البزار •

هذه الغاية التي يجاهد العبد المؤمن لها نفسه . . . ويفوم
للفوز بها ليله . . . ويصوم لها نهاره . . .

هذه الغاية . . . طريقها الايمان . . . والايمان طريقه الحب
في الله . . . كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في
أحاديثه الشريفة والتي ربط بها قلوب أصحابه رضوان الله عليهم . . .
برباط الحب . . . وبين لهم فيها مقام المتحابين عند ربهم . . .
ومدى ما ينعمون به من أمن وأمان يوم لقائه وقال : « ان من
عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء . . .
قيل : من هم لعننا نجهم . . . قال : هم قوم تحابوا بنور الله في
غير أرحام . . . ولا أنساب . . . وجوههم نور . . . على منابر
من نور . . . لا يخافون اذا خاف الناس . . . ولا يحزنون اذا
حزن الناس . . . ثم قرأ : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون » (٧) .

وكيف يحزن المتحابون في الله وقد رضى الله عنهم ورضوا
عنه . . .

وكيف يخافون وقد خافوا ربهم في دنياهم فأنهم في
آخرهم . . .

وكيف يفرعون وقد أئتم خوفهم من ربهم الأمن في أنفسهم
فتحابوا . . . فأغلبهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله . . .
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . . . قال رسول الله صلى

(٧) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة ٠٠٠ أين المتحابون بجلالي ؟ ٠٠٠ اليوم أظلمهم بظلي يوم لا ظل الا ظلي » (٨)
 ٠٠٠ لقد أظلمهم ربهم بظله يوم لقائه ، لأنهم أحبوا بعضهم بعضا في الله ٠٠٠ ومن أحبه مولاه تولااه ٠٠ وأنعم عليه برضاه ، ٠٠٠ وجعل الجنة منقلباً ومثواه ٠٠٠

المسلم سمة المتحابين في الله :

ان المجتمع العربي المسلم الذي تميزاً في ظل رحمة الله للعالمين وانطلق يعلى كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها انما استقى قيمه الاجتماعية ٠٠ ومثله العليا من نبع الحب في الله كما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ فكان التعاون والتكافل الاجتماعي والمعاملة الانسانية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ٠٠٠٠

كان هذا كله وغيره من معاني الخير والبر والتقوى يفيض من هذا النبع الملائكي الطاهر ٠٠ نبع الحب والمودة والألفة ٠٠٠ لكن كيف تحاب الصحابة رضوان الله عليهم في الله ٠٠٠ وما السبيل الى هذا الفيض الرباني الذي به تحقق ما يشبه المعجزات في فترة قصيرة من الزمان ١٩ .

تحاب الصحابة رضوان الله عليهم في الله لما أحبوا الله ورسوله وآثروهما على أنفسهم وأموالهم ٠٠٠٠ وافقدوا هذا

(٨) رواه مسلم .

الحب بأرواحهم • هاجروا وقاتلوا واستشهدوا في سبيل اعلاء
كلمة الله وهدى رسوله ...

ومن هذا المنطلق تألفت الأرواح ... وائتلفت القلوب
واطمأنت النفوس ... وصارت الجماعة وكأنها نفس واحدة
تتردد في أجساد متعددة ...

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم الى الحب
في الله .. والذي به يتحقق الايمان .. وقال صلى الله عليه
وسلم : « والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنوا حتى تحابوا ... ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه بحتابتم
.. افشوا السلام بينكم » (٩) .

فالسلم يوحى بالأمن والأمان .. وينطلق من نفس آمنة
مطمئنة بحب الله وبحب رسوله ... وينعكس تألفا مودة وبراً
وتعاوناً في علاقات الناس ...

والسلام اسم من أسماء الله وضعه على الأرض .. ومن
أفشاء ذكر الناس باسم من أسمائه .. وكان له عليهم هذا
الفضل ... كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال : « السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه على الأرض
فأفشوه بينكم ... فان الرجل اذا مر بقوم فسلم عليهم ...
فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره اياهم السلام
فان لم يردوا عليه رد من هو خير منهم » (١٠) .

(١٠) رواه البزار والطبراني .

(٩) رواه مسلم .

والسلام تحية الملائكة لأهل السلام . . . ترفهم به الى دار السلام . . . تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ (١١) .

وبالسلام يتطهر العبد المؤمن من ذنوبه وتتناثر خطاياهم كما يتناثر ورق الشجر ، كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ان المؤمن اذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر » (١٢) .

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتباعه بإفشاء السلام في كل لحظة وحين ، فامتثلوا لهذا الأمر حتى صار السلام سمة من سمات العبد المؤمن ، ولازمة لا تفارقه ، وعنصر من عناصر شخصيته . . . ان أغفلها أغفل سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وهديا من هديه .

لذلك التزم الصحابة رضوان الله عليهم بأحاديثه التي دعاهم بها حيث قال :

« اذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فان حالت بينهما شجرة ، أو جدار ، أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه » (١٣) .

وإفشاء السلام يعنى في المقام الأول السلام النفسى الذى يغبر عنه المسلم بكلمات التحية التى أمرنا الله ورسوله بها .

(١٢) رواه الطبرانى .

(١١) الزمر : ٧٣ .

(١٣) رواه أبوداود .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقى كل وهم باطل يختر صفو السلام النفسى ولو حتى بظن قد يدع للشيطان سبيلا يوغر به النفوس ...

وقد روت أم المؤمنين صفية بنت حبي رضى الله عنها ما يبين ذلك وقالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم معتكفا فى المسجد فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثم عدت لأنقلب ، فقام معى ليقبني ، — وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد — فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلكما ، انها صفية بنت حبي » . فقالا : سبحان الله يا رسول الله « . فقال : « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا أو قال شيئا » (١٤) .

ان العبد المسلم يعيش بين اخوانه وسلامه النفسى يسرى الى مشاعرهم أمانا وأمانا ، ومودة وحنانا .
ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدهم الى هذا السمو النفسى ، ودعاهم أن يحرصوا كل الحرص على مشاعر بعضهم البعض .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر حديثه الشريف الذى حذر فيه اثنين يتناجيان دون ثالث يجلس معهما ودعاهما ألا يفعلا ذلك حتى لا يظن الثالث ظن السوء ، وحتى لا تحدثه نفسه بأن نجواهما

(١٤) ميفق عليه .

كانت عليه ، فيحمل في نفسه ، ويبتعد عن أخيه دون ذنب جناه ،
ويتفرقا بهذا الحاجز النفسى الذى نهانا عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال : « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون
الآخر حتى تختلطوا بالناس ، فان ذلك يحزنه » (١٥) .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ألف برحمته
القلوب ، ما كان له أن يدع سبيلا للنفس الأمارة بالسوء
أن توغر الصدور .

حقا ما كان له أن يفعل ذلك ورسالته السمحاء تدعو الى
الألفة والتزام الجماعة ، ووصاياه كلها تمهد للمسلمين سبل
الحياة المتحابة المتعاونة ، حتى وانه كان يمنع أكل الثوم أو
البصل من الصلاة مع جماعة المسلمين ، حتى لا تتسلل الجفوة اليهم
ويقول : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل
مسجدنا » (١٦) .

وجدير بمن رباه رسول الرحمة على هذا المستوى الراقى
من السمو الوجدانى ، والصفاء النفسى أن تسمو مشاعره ،
وأقواله ، وأفعاله ، فلا يقول الا حقا ، ولا يعمل الا خيرا .
آثار الحب فى الله :

واهتدى الصحابة رضوان الله عليهم بهدى نبهم ، فتحابوا
فى الله ، وتألت القلوب بأسمى عاطفة ، وأثمرت هذه العاطفة
النبيلة تعاوننا ، وعملا صالحا ، وقولا لنا .

(١٥) متفق عليه ، ورواه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه .

(١٦) متفق عليه .

وصار الصحابة يحزنون لما يصيب أحدهم من ضر ،
 ويفزعون من البلاء نزل بساحة أحدهم ، فلا يطيب لهم عيش ،
 ولا يهنأ لهم بال ، ولا يهدأ خاطر ما دام أخ لهم في هم ، أو غم ،
 أو نصب ، أو ضائقة تعكر صفو حياته •

وذلك لأن رحمة الله للعالمين بمشاعره ، وبأقواله ، وبأفعاله ،
 وبصدقه ، وبنقاء سيرته ، ووصاياه ، وأحاديثه ، صهر هذه
 النفوس في بوتقة الايمان ، فصارت وكأنها نفس واحدة ، وألف
 الأرواح الشاردة حتى صارت روحا تتردد في أجساد عديدة ،
 ووحيد الوسيلة ، والغاية ••• فصارت الأفكار متسقة بناءة ،
 والقدرات متكاملة خلاقة مبدعة •

وصار القوى يدخر قوته ليسد بها ضعف أخيه ، وأصبح
 مال الغنى سندا لحاجة الفقير ، وباتت شجاعة الفارس ومهارته
 درعا تقى المستضعفين في الأرض ، فأصبحوا بفضل رحمة الله
 للعالمين صرحا شاهقا يكمل بعضهم بعضا ، وتحقق فيهم حديث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « مثل المسلمين في
 توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه
 عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١٧) •

لقد رباهم رحمة الله للعالمين على الحب ، وعلمهم أن
 الايمان يعنى النية الصادقة ، الخالصة لوجه الله ، والمخلصة
 لآخوانها ، وأرشدتهم بأن الايمان بالرحمن ، الرحيم ، الكريم ،

(١٧) متفق عليه •

الودود يعنى الرحمة والمودة لكل مسلم ، وأن من لم يفعل ذلك نقص ايمانه ، وحاد عن هدى نبيه الذى جعل الايمان مشاركة بالمشاعر ، والأقوال ، والأموال ، وبذل ما يملكه العبد المسلم من قدرات فى سبيل أخيه ان دعاه الأمر لذلك .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال الايمان فى الحديث الشريف وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب أخيه ما يجب لنفسه » (١٨) .

والحب فى الله الذى يكتمل به ايمان المؤمن يتمثل فى كماله الانسانى . فإيمانه بالله وباليوم الآخر يعنى كفه أذاه عن جاره ، واکرامه لضييفه ، وكفه لسانه عن الشر كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » (١٩) .

والسلام النفسى الذى تعهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أمن الانسان وأمانه حيث كان .

والمسلم أولى الناس بهذا الأمن ، وهذا الأمان . وما كان للأمن أن يظل أمة الاسلام لولا أن النفوس قد تخلصت من نقائصها فلا تضر شرا ، والا لأن الألسنة قد تطهرت من الفحش والبذاءة فلا تنطق الا خيرا ، ولأن الجوارح قد أسلمت لربها فلا تمتد الا تعاونا وبراً .

(١٩) متفق عليه .

(١٨) متفق عليه .

فالمسلم قد أسلم كيانه كله لربه ، كما هداه اليه رسوله
صلى الله عليه وسلم وقال : « المسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده » (٢٠) .

ولا يعنى اسلام الانسان لربه الاكتفاء بكف الأذى عن
أخيه المسلم ، بل يعنى الاسراع اليه ان ألت به ملة ، ومشاركته
مشاعره ان أصابته حسنة .

وهو فيما يفعل انما يبتغى أجره من ربه ، لأن من استعان
لم يستعن الا بمولاه ، وكلاهما (المعين والمستعين) يستشرنان
الثواب والرحمة من رب العالمين .

ولو تدبرنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمنا
أن المسلمين — من أعطى ومن أخذ — لا يقصدون الا ربههم ، فالمعطى
يعطى لله ، والمستعين والمستجير والسائل انما يستجير ويستعين
ويسأل ربه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن
استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم
تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » (٢١) .

والعبد المسلم يلتزم بما أوصاه به رسوله صلى الله عليه
وسلم نحو أخيه .

وهو فى التزامه لا يفرق بين جنس وجنس ، ولون ولون ،
وسيد ومسود ، وغنى وفقير .

(٢٠) متفق عليه .

(٢١) رواه أبو داود والنسائي واللفظ له .

ان التزامه تضامن روحى ينتظم الأمة الاسلامية أينما كانت ، وحيشما كانت ، حتى يفيض على أمة الاسلام هذا النبع الطاهر ، ويزداد به المسلمون ألفة ومودة وتراحما وتعاوناً ، وهم يقومون بأداء ما عليهم من حقوق حدثهم بها رسولهم صلى الله عليه وسلم وقال : « حق المسلم على المسلم خمس .. رد السلام .. وعيادة المريض ... واتباع الجنائز .. واجابة الدعوة .. وتشميت العاطس » (٢٢) .

والحب فى الله ينعكس على معاملة المحب لله لأخيه وتبدو آثاره فى أقواله ... وفى أفعاله .. يشارك أخاه فى سرائه ... وفى خسائره .. وفى يسره .. وفى عسره .. فالمحب صادق الوعد ... وفى العهد ... عف اللسان ... رقيق القلب

وحبه لأخيه يؤتى أكله باذن ربه تعاونا وتآلفا وبراً ورحمة ...

أما من يفعل غير ذلك فقد أفقر قلبه من الحب ... وخرج بسوء فعالة من جماعة المؤمنين

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب لنا المثل وهو يحاور رجلاً يبيع طعاماً ... فأعجبه وأدخل يده فرأى بلالاً فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ ... قال : أصابته السماء ...

(٢٢) رواه البخارى ومسلم .

فقال : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ..
من غشنا فليس منا (٢٣) » .

ولعلنا لو تدبرنا في قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون .
الذي هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون .
والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا
على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى
 وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم للأماناتهم وعهدهم
 راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ (٢٤) لعلنا أن
الايان بالله لا يكتل بنيانه باقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة ان لم تنه شعائر الدين وأركانه المؤمن عن اللغو
والزنا ، وتلزمه بأداء الأمانة والوفاء بالعهد وان لم يقوم الايمان
سلوكه في المجتمع ، وان لم يعبر بمعاملته للناس عن ايمانه بالله
وبرسوله واليوم الآخر ...

مجتمع البر والتقوى :

وحتى تصفو النفس من الهوى ، وتسموا الى أعلى درجات
الكمال الانساني أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقوى،
وبين لنا مغزاها ، وعددت لنا آيات الله البيئات صفات
المتقين وجزاءهم في دنياهم وآخرهم .
لذا اكتملت لأمة الاسلام مقومات الرقى النفسى فسادوا من

(٢٣) رواه مسلم . (٢٤) المؤمنون : ١ - ١١ .

حولهم من الأمم ... وما تحقق للمسلمين ذلك الا لأنهم اقتدوا
 بسيد المتقين الذى هداهم الى تقوى الله فى كل قول وعمل ،
 وكل غاية وهدف ، فكان بحق مجتمع البر والتقوى .
 كانت التقوى منطلق حياتهم ، ومعقد آمالهم . وكانوا
 يتقون ربهم فى معاملاتهم ، وفى أعمالهم ، وفى عباداتهم .
 وقد بينت لهم آيات الله الوسيلة لتحقيق هذه الغاية
 السامية ، وبشرتهم بالجزاء الذى ينتظر المتقين يوم لقاء ربهم .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم بالتقوى ،
 ويربهم فى نفسه التقوى سلوكا ، ومعاملة ، وقولا ، وفعلًا ،
 وعبادة ، وإخلاصا ، وصدقا .

واجتنب المسلمون ما حرمه عليهم ربهم ، والتزموا بما فرضه
 عليهم ، وراقبوه فى السر والعلن ، وكانوا لا يرون فى أنفسهم
 أحدا سواه ، ويتوقون الى لقاءه ، كما وصفهم على بن
 أبى طالب « كرم الله وجهه » وقال : « نزلت أنفسهم فى البلاء ،
 كما نزلت فى الرخاء ، لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر
 أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى ربهم ، عظم الخالق
 فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم » .

ولعل خير دليل لشديد شوقهم الى لقاء ربهم انما هى
 آيات الله تصور لنا حال العاجزين عن الغزو لضيق يدهم ،
 وهم يعرودون الى ديارهم وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا
 ما لا ينفقون .

لقد اتقت العرب بعد اسلامها ربها ، وعظم مقامه في
 أنفسهم ، حتى وأن الصحابة رضوان الله عليهم ، كانت ترتعد
 فرائضهم اذا قرءوا أو سمعوا آيات العذاب .
 ولعل ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . .
 — وهو أحد المبشرين بالجنة — لعل ما فعله دليلا على تقوى
 المجتمع العربى بعد اسلامه .

... لقد كان يقرأ يوما ما في كتاب الله قوله تعالى :
 ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ ... حتى اذا بلغ قوله ﴿ واذا الصحف
 نشرت ﴾ ... خر مغشيا عليه .
 ... ولقد هام سلمان الفارسي على وجهه ثلاثة أيام . .
 هلعا وخوفا من يوم الحساب ، لما نزل قوله تعالى :
 ﴿ وان جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ .

وكانوا مع شديد تقواهم ... يظنون بأنفسهم
 الظنون ، ويستقلون ما يعملون . . وكأنما كان يعينهم على
 ابن أبي طالب رضى الله عنه ويقول :
 « لا لا يرضون من أعمالهم بالقليل ... ولا يستكثرون
 الكثير ... فهم لأنفسهم متهمون ... ومن أعمالهم
 مشفقون . . اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول :
 « أنا أعلم بنفسى من غيرى . . وربي أعلم بنفسى منى ...
 اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ... واجعلنى أفضل مما
 يظنون . . واغفر لى ما لا يعلمون » .

ولو تدبرنا آيات الله لعلمنا أن الشهادة كانت أعذب
منهم ، في متقلبهم ومشواهم »
قال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين
إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا
وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ (٢٥) .

ورأى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب
الله أخراهم ، فالتزموا به في دنياهم .
ذلك أنهم وهو يتلون آيات الله تصف الجنة كانوا يكادون
يشمون ريحها ، ويرون قصورها ، وأنهارها ، وولداتها ،
وحورها ، وكانوا يكادون يرون النار وهم يتلون آيات الله
تصور جهنم وتكاد أرواحهم أن تصلى بنارها ، فكانوا كما
وصفهم على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال :

« أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن
ترتيلا ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ، ركنوا إليها طمعا ، وتطلعت
أنفسهم ، حتى إن الصحابة رضوان الله عليهم كانت ترتعد فرائصهم
إليها بمسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول
آذانهم ، فهم جاثون على ركبهم ، يطلبون من الله فكاك
رقابهم » .

وفي اتهام أنفسهم بالتقصير في عبادة الله والقول الطيب ..
والعمل الصالح قمة التقوى وذروتها ...
ذلك لأن من يرى نفسه أهلا لصفة ما ... فقد كاد أن
يضيع ما أنعم الله به عليه ... ومن ظن أنه قد ارتقى
وسما .. كاد ظنه أن يهلكه ويودي بما قدمت يداه ..
كان العربي المسلم ... يتقى ربه .. سيدا ومسودا ...
غنيا وفقيرا ... حاكما ومحكوما ... قويا وضعيفا ..
وكان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصون
أتباعهم بتقوى الله في أول لقاء .

... فعل ذلك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وقال :
« أما بعد ... فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل ... وأن
تشنوا عليه بما هو أهله ... وأن تخلصوا الرغبة في الرهبة
وتجمعوا الالحاق في المسألة ، فإن الله عز وجل أثنى على
زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ (٣٦) .

ويذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولده بالتقوى
في وصية له ويقول :

« أما بعد ، فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإن من
اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل
التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك » .

(٢٦) الانبياء : ٩٠ .

ولقى المجتمع المسلم ثواب تقواه في دنياه احقاقا. لقوله تعالى : ﴿... ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ (٢٧) .

ووعده الله المنتقين بأحسن الجزاء في الآخرة في قوله تعالى : ﴿قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ (٢٨) .

مجتمع الحرية والاخاء والمساواة :

كان لعقيدة العرب الفاسدة أثرها في أخلاقهم .. وفي معاملاتهم ... فكانت غاياتهم شتى ... وآراؤهم وأفكارهم شتى ... وكانوا كآلهتهم لا يسمعون ولا يصرون .. ولا يجتمعون على أمر ...

وناهيك بحياة قوم يأمرون بقدرح ... يخرجونه من وعاء بجوار الكعبة ... فان كان مكتوبا عليه « افعل » ... مضوا لما خرجوا له تجارة كانت ... أو زواجا ... أو سفرا ... وان كان مكتوبا عليه « لا تفعل » عادوا من حيث أتوا ... وان كان القدرح « غفلا » أعادوا الاستقسام مرة أخرى حتى يستأنسوا بما أمرت به الآلهة .

ويعنى هذا أن حياتهم كانت مرهونة بأوهام وأباطيل

ما أنزل الله بها من سلطان .. حتى هلت بتسائر الرحمة
بمبعث رحمة الله للعالمين ... فاستقت العرب من فيض
رحمته ...

وكان أول القطر حرة أشرق فجرها في ربوع مكة
المكرمة ... فانجابت من النفوس ظلمات الشرك ... وسراب
الباطل *

وما ذلك الا لأنهم سجدوا للواحد القهار ...
ونبذوا ما دونه من أوثان وأسماء ... وعبدوا العزيز
الغفار ... ولم تعد جباههم لتسجد لجاه أو سلطان أو مال ...
وخافوا من ربهم المنتقم الجبار ... ولم تعد قوة دونه ترهب
أحدا ... ولو مزقت أجسادهم ... وأزهقت أرواحهم .. فقد
ولدتهم أمهاتهم أحرارا ... كما قال سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ..

لقد أصبح المسلمون أحرارا فيما يعتقدون ... وأحرارا
فيما يقولون ... وأحرارا فيما يفعلون .. لا يلتزمون الا بما
أمرهم به ربهم ... ولا يهتدون الا بهدى نبيهم ... فهم يرون
في البلاء رحمة من ربهم ما داموا ييغون رحمته ويخشون
عذابه ... ولا يجزعون لما يصيبهم في دنياهم من هم وحزن
وأذى ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لهم أن الخير
في الرضا بما ارتضاه ربهم .. وقال في حديثه الشريف :
« ما يصيب المؤمن نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن

ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها» (٢٩) .

كان الخوف في داخلهم فحرروا نفوسهم منه ... حتى صغرت الدنيا كلها في أعينهم وتلك هي الحرية الحققة .. أن تتحرر النفوس من الجاه .. والمال .. والسلطان .. والزوجة .. والولد ... وتكون عبداً للواحد الأحد ...

وكان الاخاء في الله وليد الحرية .. ذلك أن ما دعاهم من قبل الى العداوة والبغضاء .. من تفاخر وتكاثر بالمال والولد .. قد قضى واقتضى ... وصار همهم آثاء الليل وأطراف النهار هو الاقتداء بنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال في حديثه الشريف « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ... من كان في حاجة أخيه ... كان الله في حاجته ... ومن فرج عن مسلم كربة ... فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ... ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (٣٠) .

وكافت صحبة الصديق رضى الله عنه في هجرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الاخاء .. فقد ألقى ما كان يملكه من متاع الدنيا وراء ظهره وآثر الهجرة ابتغاء وجه ربه . وصفت أسماء رضى الله عنها هجرة أبيها الصديق وقالت : « دخل علينا جدى أبو قحافة ... وقد ذهب بصره ...

(٣٠) متفق عليه .

(٢٩) رواه البخارى ومسلم .

فقال : والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . . .
 قلت : كلا يا أبت . . انه قد ترك لنا خيرا كثيرا . . . فأخذت
 أحجارا فوضعتها فى كوة البيت . . كان أبى يضع ماله فيها ،
 ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت :
 « يا أبت . . . ضع يدك على هذا المال .
 فوضع يده عليه فقال : لا بأس اذا كان ترك لكم هذا
 فقد أحسن . »

قالت أسماء رضى الله عنها :
 « ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكن أردت أن أسكن
 الشيخ بذلك » .

مجتمع الاخاء فى المدينة المنورة :

وانطلق الركب الطاهر الى المدينة ، وكانت أول ثمرات
 رحمة الله للعالمين اخاء ، ومودة بين الأوس والخزرج ، فصاروا
 بمنة الله وفضله أنصارا لله ولرسوله .
 وتأخى المهاجرون والأنصار ، وتقاسموا الديار ، والإموال .
 وفقر التاريخ فاه دهشة وعجبا مما يراه بعد أن ولت
 العداوة والبغضاء والقتال الى غير رجعة ، وبعد أن أثر
 الأنصارى أخاه على نفسه ، وقدم له ما يملكه حتى لا يشعر
 بالحرية والحاجة .

فعل ذلك سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنه وقال
 لأخيه فى الله عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه :

« أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالى
فخذه ، وتحتى امرأتان ، فانظر أيتهما أعجب اليك حتى
أطلقها » .

فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : « بارك الله
فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق ، فدلوه ، فذهب وباع ،
واشترى ، وربح » .

وصورت الآيات البينات هذا الاخاء الانسانى أسمى تصوير
فى قوله تعالى :

﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك
هو المفلحون ﴾ (٣١) .

... وكما وأن الحرية أثمرت الاخاء فى الله ، فقد قضى
الاخاء على آفات النفس وأمراضها ... فلم تعد النفس
مستكبرة متعالية ... لأن الاخاء فى الله يعنى المساواة .

... لقد تأخت النفوس .. فصار مولى خديجة رضى
الله عنها قبل الاسلام زيد بن حارثة رضى الله عنه أخا
لصاحب رسول الله ورفيقه فى الغار أبى بكر الصديق رضى
الله عنه .

... وتألق فجر المساواة فى سماء الانسانية يوم صار

سليمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي رضي الله عنهم
من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
... وأشرقت شمسها وخليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعلن في أول خطبة له ويقول : « القوى عندكم الضعيف
عندي حتى آخذ الحق منه ... والضعيف عندكم القوى عندي
حتى آخذ الحق له » .

حقا ... لقد أبدل رحمة الله للعالمين عداوة العرب ألفة
ومحبة ... وأبدل خوفهم أمنا ... وقتالهم سلا ... فأصبح
مجتمعا للحرية والاخاء والمساواة ... تزكى معانيها السامية
فروض الاسلام من صلاة ... وصيام ... وحج ... وزكاة .

مجتمع الحق والعدل والامن :

صار المسلمون يحققون الحق ، ويبطلون الباطل لما بعث
الله نبي الحق الذي هداهم الى الحق ، يسبحون بحمد ربهم
ويمجدون ، ويؤمنون به وله يركعون ويسجدون .
وصاروا يقدسون الحق بعد ما أضاء سنا الحق ظلمات
نفوسهم ، وأشرقت أنواره في قلوبهم ، وهم يرتلون آيات
الله ، تهديهم الى الحق ، والى صراط مستقيم في قوله تعالى :
« وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول
كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم
الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » (٣٢) .

(٣٢) الأنعام : ٧٣

ثم صارت السننهم تلهج بذكر الحق كما علمهم رسولهم
صلى الله عليه وسلم الذى كان يشنى على ربه بما هو أهله
ويقول :

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك
الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت رب
السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ،
ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ،
والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم
حق .

اللهم لك أسلست ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك
أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت ،
وما أخرت ، وما أسررت ، وما اعلنت ، وما أنت أعلم به منى ،
أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، الذى لا اله الا أنت ولا حول
ولا قوة الا بالله » (٣٣) .

وصار الحق فى المجتمع العربى بعد اسلامه دعامة من
دعائمه ، وغاية يسمى اليه .

وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم كل عضو من أعضاء
المجتمع الى ما أوجبه عليه ربه له ، ولأسرته ولجتمعه ، وبين أن
هذه التكاليف يقابلها فى الوجه الآخر حقوق .
ولقد تعرضنا للأسرة وتبين لنا حق الزوج والزوجة

(٣٣) أخرجه الجماعة .

والأولاد والخدم والموالى ، والذي بينه حديثه الشريف ، وبين فيه حقوق الرعية قبل الوالى وقال :

« كلکم راع ، وكلکم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، وكلکم راع ومسئول عن رعيته » (٣٤) .

ولو تعرضنا لمسئولية الامام لعلنا أنها تمنى حقوق الرعية ، وتعنى قيامه على شئون حياتهم ، وتعنى بأن الوالى — وهو المسئول عن رعيته — لا يففل عن أولى الضعف والحاجة كما بين ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من ولى من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة ، احتجب الله عنه يوم القيامة » (٣٥) .

والوالى يرى معاش الناس ، وأحوالهم ، وحاجاتهم . وما يعافونه من هم فى المرأة التى تلازمه آناء الليل وأطراف النهار وللرعية الحق فى الاطمئنان الى صدق وأمانة من حول الوالى من أمراء ، ووزراء ، وقواد ، والذي تعرض له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفه ، الا كانت له بطاقتان : بطاقة تأمره بالمعروف وتحضه عليه . وبطاقة تأمره بالشر وتحضه عليه . والمعصوم من عصم الله » (٣٦) .

(٣٥) رواه أحمد والبراس .

(٣٤) متفق عليه .

(٣٦) متفق عليه .

والرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبين حقوق الرعية قبل واليه لم يفعل حق الوالى حيث قال فى احدى خطبه « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين • تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٣٧) •

انه المجتمع العربى المسلم الذى أقامه نبي الرحمة على دعائم الحق ••• فكان خير مجتمع رأته الانسانية •

ولقد امثل الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الهدى النبوى وأقاموا حياتهم على الحق أفرادا وجماعات ، واستظل بهذه المظلة الواقية كل ذى حق فى الحياة انسافا كان أو حيوانا أو طائرا يطير بجناحيه فى السماء ، واحتتموا بظلال الحق الوارفة من قيظ التعصب والبغض والكراهية التى دمرت حياتهم ومزقتهم أحزابا وشيعا •

ولعلنا لو تدبرنا الحديث الشريف الذى يحفظ للطير حقه ويأبى أن تلهو به ونعبت ، ونجحد نعمة الله علينا وقد سخره لنا طعاما طيبا ، لعلمنا أن لكل ذى كبد رطبة حق •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها الا يسأله الله عنها يوم

(٣٧) أخرجه أحمد ، وأبو داود وغيره •

القيامة .. قيل : يا رسول الله .. وما حقها ؟ قال : حقها أن
تذبحها فتأكلها ، ولا تقطع رأسها فترمى به » (٣٨) .

ان الحق يعلو ويسمو ويسع حتى الجباد الذي
لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يشكو من انسان أنكر له حقاً .
فقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للطريق حقه
ان جلسنا فيه نتحدث في أمور دنيانا ، وحق الطريق أن تأمر
فيه بالمعروف ، وتنهى فيه عن المنكر ، ولا نجرح مشاعر
الناس بكلمة نائية أو نظرة جارحة ، ولا نبذل نعمة الله اثماً
وبغياً وعدواناً ، ونجحد آلاء الله الذي سخر لنا الأرض
نمشي في مناكبها ونأكل من رزقه .

اهتدى السلف الصالح بهدى الرسول صلى الله عليه
وسلم فأعطوا الطريق حقه الذي بينه في حديثه الشريف وقال
للصحابه رضوان الله عليهم « اياكم والجلوس في الطرقات .
قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا أبيتم الا المجلس
فأعطوا الطريق حقه .. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟
قال : غص البصر ... وكف الأذى ... ورد السلام ...
بالمعروف ... والنهي عن المنكر » (٣٩) .

ولقد رأى الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يحق الحق ويبطل الباطل ، ورأوه وهو يحفظ

(٣٨) رواه النسائي والحاكم . (٣٩) متفق عليه .

لصاحب البيت حقه فيمن دخل بيته ويعلم الزائر أن
يحفظ حق صاحب الدار

عن ربيع بن خراش قال : حدثنا رجل من بني عامر
استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال :
أألج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه « اخرج
الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له : قل : السلام عليكم
أأدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم أدخل ؟
فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل » (٤٠) .

ورأوه وهو يخشى أن تطالبه وصيفة بحقها ان ضربها حتى
ولو بسواك في يده

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيتي وكان بيده سواك فدعا وصيفة
له - أو لها - حتى استبان الغضب في وجهه وخرجت
أم سلمة الى الحجرات فوجدت الوصيفة وهي تلعب بهمة
فقلت : ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوك ، فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا خشية القود
لأوجعتك بهذا السواك » (٤١) .

وقد نذر المسلمون ما يملكون من نفس ومال للحق الذي
يعملون له ويتعاملون به بعد أن حدثهم رسول الله صلى الله عليه

(٤٠) رواه أبو داود باسناد صحيح .

(٤١) رواه أحمد والطبراني .

وسلم بمنزلة المقسطين عند ربهم فقال : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ... وكنتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (٤٢) .

ثم ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه المثل ... فأرأوه يحق الحق ... وهو يقضى لرجل يغلظ له القول ... ولا تزيده سفاهة الرجل الا حلما ... وسماحة ... وعدلا ...

... عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ له ... فهم به أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دعوه فان لصاحب الحق مقالا ... ثم قال : أعطوه سنا مثل سنه (أى جملا مثل جملة) ... قالوا : يا رسول الله لا نجد الا أمثل من سنه ... قال : أعطوه ، فان خيركم أحسنكم قضاء » (٤٣) .

ورأوه صلى الله عليه وسلم ... لا يحابى ... ولا يجامل المسئء لجاهه وحسبه ونسبه ومكائنه في قومه ...

... عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ... فقالوا : من يجترئ عليه الا أسامة

(٤٢) رواه مسلم والنسائي . (٤٣) متفق عليه .

ابن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فكلّمه
أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ » ثم قام فاخطب
ثم قال :

« انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف
تركوه ... واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ...
وأيّم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (٤٤) .
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاء الظالم في
حديثه الشريف وقال :

« من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له
النار ، وحرّم عليه الجنة . فقال رجل : وان كان شيئا يسيرا
يا رسول الله . قال : وان كان قضيا من أراك » (٤٥) .
وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جزاء الظالم
لا يقتصر على ما يلقيه من عقاب يوم لقاء ربه ، وأن الله يجازي
الظالم بظلمه في دنياه وقال :

« لا تظلموا ، فتدعوا فلا يستجاب لكم ، وتستسقوا فلا
تسقوا ، وتستنصروا فلا تنصروا » (٤٦) .

وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة المسلمين
على مقاومة الظالم ، وبين في حديثه الشريف أن مقاومة الظالم
مسئولية يقوم بها كل من رأى ظلما يقع بأخيه وقال :

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٤) منفق عليه .

(٤٦) رواه الطبراني .

« لا يقنن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما ، فإن اللعنة تنزل على كل من حضره حين لم يدافعوا عنه » . ولا يقنن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على كل من حضره حين لم يدافعوا عنه » (٤٧) .

وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه بأن لا يضيعوا مكاتبتهم السامية ، ومنزلتهم الكريمة عند ربهم ، وقد كرمهم ورفع من شأنهم ، وبأن لا يحتقروا أنفسهم خوفا من البغى والعدوان وقال :

« لا يحتقر أحدكم نفسه » قالوا : يا رسول الله . وكيف يحتقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياي أحق أن تخشى » (٤٨) .

ذلك أن الناس قد تخشى أولى القوة ، وتشترى أمنها ، فلا تنصر مظلوما حتى يكاد المستضعفون في الأرض يظنون أن شمس العدل قد غابت ، وأن الأرض ومن عليها قد دانت لفئة باغية ، لا ترعى الله لا في دينها ولا في دنيائها .

لكن صوت الحق لا بد وأن يعلو على الباطل ما دام على الأرض طائفة من الأمة قائمة على الحق كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

(٤٧) واه الطبراني والبيهقي .

(٤٨) رواه ابن ماجه .

« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم : تعال صل بنا . فيقول : لا ، ان بعضكم لبعض أمراء ، تكرمة الله تعالى لهذه الأمة » (٤٩) .

هذه الطائفة المجاهدة لا تخشى في الله لومة لائم ، ولا يخرس ألسنتهم عن الحق دينار ولا درهم ، ولا ييغون بما يقولون أو يفعلون علوا في الأرض ولا فسادا .

هؤلاء الذين زكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبر جهادهم في سبيل الله أفضل الجهاد في حديث شريف رواه أبو عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي رضي الله عنه قال : ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز . أى الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر » (٥٠) .

لقد أمن الاسلام العبد المسلم في نفسه ودينه وماله وعرضه ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام المسلم عند ربه ومكاته ومنزلته وقال :

« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » (٥١) .
وأغلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب الشيطان حتى لا يجد سبيلا الى الفتنة وقال :

(٤٩) أخرجه أحمد ومسلم . (٥٠) رواه النسائي .
(٥١) رواد مسلم والنسائي والترمذي .

« لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح ، فانه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » (❦) .

حدود الله :

أما من تسول له نفسه الأماراة بالسوء خلاف ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فان له جزاءه .. وله عقابه الذى يتمثل فى حدود الله ... والتي تعاوت أمة الاسلام على اقامتها ... حتى لا تسود الأمة أنصار الباطل ... وجنود الشيطان ... فيهلك الحرث والنسل ... وينهار صرح القيم الاسلامية ... وتعود الأمة الى حياة الأنعام أو أضل ... لذا .. دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اقامة الحدود ، وضرب لنا مثلا لأمة تقيم حدود الله ، وأخرى غافله وقال :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها .. وكان الذين فى أسفلها اذا استنقوا من الماء مروا على من فوقهم .. فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم تؤذ من فوقنا ... فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ... وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » (٥٢) .

وبفضل الله وبرحمته أمن المجتمع ... وتحقق فيه قول

(❦) رواه البخارى ومسلم .

(٥٢) رواه البخارى والترمذى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم حيث يقول :
يا عدى هل أتيت الحيرة ؟ ... قال عدى : لم آتتها وعلمت
مكانها ... فقال : يوشك أن تخرج الطعينة بغير جوار حتى
تطوف بالبيت » .

ان أمة الاسلام قد نعمت بالأمن ردحا طويلا من الزمن ،
فالحق كان سبيلهم الى العدل ... والعدل كان من نساره
الأمن ... هذا الأمن الذى قال عنه الامام أحمد بن حنبل
فى مسنده : من أراد أن يعرف غاية الأمن والسكينة عليه أن يعرف
حكم اللقطة فى الاسلام ... فانه يدعها مكانها حتى يرجع
اليها صاحبها أو يلتقطها فيعرفها سنة ثم تعد دينا فى ذمته ...
أما فى الحرمين فهو يعرفها أبدا (٥٣) .

مجتمع العلم والتعلم :

وأصبح المجتمع العربى بعد اسلامه مجتمعا للعلم والتعلم
فى تنون الدين والدنيا ، ونالوا بعد اسلامهم حظهم من العلم ، ثم
صاروا يلقنونه للأمم التى كانت لا تعلم شيئا لامن أمور دينها
ولا من أمور دنياها .

وكان من فضل الله على العرب ، وعلى الأمة الاسلامية
وسيطل هذا الفضل نورا يشرق فى عقول وقلوب المؤمنين بالله
ربا ، وبرحمة الله للعالمين نبيا ورسولا ، وبالقرآن هاديا ومبشرا
ونذيرا - كان من فضل الله أن آيات القرآن الكريم نزلت تحت

(٥٣) مسند الامام أحمد .

أتباعه على القراءة في أول آية لأول سورة نزلت في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٥٤) •

ولقد اهتمت أمة العرب بعد اسلامهم بهدى الكتاب الكريم، وسنة الرسول الرؤوف الرحيم ، فقرأت ، وتعلمت ، وعلمت من حولها من الأمم •

ولأن القراءة نبغ رفاق تستقى العقول منه ، فتشرب بالعلوم والمعارف ، ولأن القراءة مورد عذب ترده النفوس الضالة فتهدى ، والقلوب المضطربة فتطمئن ، والأرواح الشاردة فتألف وتألف • لذلك رفرت راية العرب لما اهتموا بكتاب ربهم فقرأوا وتعلموا •

وكان أول كتاب قرأته العرب — بعد اسلامهم — هو كتاب القدرة ، والرحمة ، والल्प ، والابداع • ورأت — وهى تقرأ هذا الكتاب الثرى بمعانى الايمان — رأت العرب ربها فى نفسها بعد أن تدبرت ، وتأملت ، وفكرت ، كيف خلقها على غير مثال سبق ، ثم جعل منها زوجها ليسكن اليها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء • قرأت العرب — بعد اسلامهم — كتاب القدرة

والإبداع ، فاهتدت بفضل ربها الى عظمته ،
وفدركته ، فأمنت به خالقها وبارئها ، ومصورها ،
وآمنت بحمد صلى الله عليه وسلم داعيها الى الله وسراجا
منيرا ، وبالكتاب الذى أنزله معه مبشرا ونذيرا .

حقا انه كتاب أزلى أبدي ، يعلن فى كل آونة وحين قدرة
الله وإبداعه ، وحكمته ، ولطفه بخلقه .

انه كتاب القدرة يتلو على الدهر منذ الأبد حتى الأزل :
ان الله هو الخالق البارئ المصور ، وأنه الواحد الأحد
الفرد الصمد .

وساعتها سجدت القلوب تناجي ربها الذى خلقها من
العدم ، وتتلو آياته التى تقرر عظمته وإبداعه فى قوله تعالى :
﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ﴾ ثم جعلناه
نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه ، فخلقنا العلقه
مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه
خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ (٥٥) .

وقد دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التفقه فى
شئون الدين ، وأوصى أبا ذر الغفارى رضى الله عنه الى
تحصيل العلم ، وقال :

« يا أبا ذر ، لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك
من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتتعلم بابا من العلم
عمل به أو لم يعمل به ، خير لك من أن تصلى ألف ركعة » (٥٦) .

وامتثل الصحابة رضوان الله عليهم لوصاياہ صلى الله عليه وسلم ، فنفرت تنفقه في شئون دينها ، وتنهل من مناهل العلم أينما كان ، فاذا بهم يقطعون الوديان ، ويجتازون الصحراء ليتبتوا من حديث شريف سمعوه •

فعل ذلك أبو أيوب الأنصاري الذي قصد مصر راكباً دابته ليتبت من حديث شريف سمعه •
وفي مصر توجه الى دار عقبة رضى الله عنه بالفسطاط حتى اذا تحقق من الحديث الشريف عاد من حيت أتى الى المدينة المنورة •

ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم وهم ينهلون من مناهل العلم ، ويردون نبعه الرقراق ، ويتحملون في ذلك المشقة ، انما كانوا يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله ، وطمعا في جناته التي وعدهم بها ربهم ، وبشرهم بها نبينهم صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف وقال :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » (٥٧) •

وازداد اقبالهم على العلم لما تنزلت الرحمت على العالم في دنياه وأخراه ، ولما اطمأنت قلوبهم الى الهدى النبوى يزف اليهم ثواب الله الذى لا ينقطع عن العالم الذى ترك في الناس علما نافعا ، فينهل من موزده المقبلون على ربهم ، ويحدثهم بأن فضل الله يتنزل عليه وهو بجوار ربه •

(٥٧) رواه مسلم وأبو داود وغيره •

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وبشر به الصحابة
رضوان الله عليهم وقال :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ... صدقة
جارية ... أو علم ينتفع به ... أو ولد صالح يدعو له » (٥٨) .
وقد يظن بعض الناس أن العلم الذي دعا اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقتصر على العلم بشئون الدين ...
لكن هدى النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه للصحابة
رضوان الله عليهم ، وللمسلمين ، تبين أن المقصود هو مطلق العلم .
فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت
رضى الله عنه الى تعلم السريانية وقال :

« انى اكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا
فتعلم السريانية » ... قال زيد رضى الله عنه :
« فتعلمتها فى سبعة عشر يوما » (٥٩) .

وحسبنا أن آيات الله الكريمة بينت لنا أن العلم بشئون
ديننا لا يقف حائلا عن العلم بشئون دنيانا ...
ولا أدل على ذلك من أن يوسف عليه السلام ، وقد بعثه
الله نبيا ، يدعو أتباعه الى عبادة ربه كان على علم بشئون
المال حتى جعله العزيز ملك مصر أمينا على خزائنه ...
قال تعالى : ﴿ ... وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على

(٥٨) أخرجه أحمد ومسلم والثلاثة .

(٥٩) رواه البخارى بالفاظ أخرى .

خزائن الأرض انى حفيظ عليهم • وكذلك مكننا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من ثناء ولا نضيع أجر المحسنين ﴿٦٠﴾ •

كما بينت آيات الله منافع الحديد في قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز ﴾ (٦١) •

ولو أننا قدبرنا أمر الحضارة الغريبة بمنشأتها ، ومصانعها ، وطائراتها ، وأقمارها الصناعية ، وسفن الفضاء ، وأسلحتها التي سيطرت بها على شعوب دولها علما لرأينا أن هذا الصرح الشاهق قام على عناصر منها الحديد الذي أشارت آيات الكريم الى استخداماته في قوله تعالى :

﴿ قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، ءاتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال ءاتوني أفرغ عليه قطرا ، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ (٦٢) •

وامثل المسلمون لآشارات القرآن الكريم •••
واهتدوا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ••• فدرسوا •••

(٦١) الحديد : ٢٥

(٦٠) يوسف : ٥٤ - ٥٦

(٦٢) الكهف : ٩٤ - ٩٧

وتعلموا .. وعلموا ... وكان من علمائهم في الطب والفلك
والرياضيات والكيمياء والطبيعة من شاد بذكرهم وباسهامهم
السلمى المنصفون من علماء الغرب *

يقول المستشرق جورج سارطون :

« لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم
العربى ... ولقد أوردت كلمة « معجزة » لترمز الى ما بلغ اليه
المسلمون والعرب من الثقافة والعلم مما يخرج تقريبا عن
نطاق التصديق » *

وحقا ما قاله المستشرق جورج سارطون .. فقد أورثوا
الغرب علوما أقاموا بها حضارتهم ... ولولا علماء المسلمين ما قامت
هذه الحضارة ، فقد ظلت جامعة مونبليه تستشهد بأراء
ابن سينا الى أواخر القرن الماضى *

كما وأن ابا بكر الرازى يمد أول واضع لعلم الطب
التجريبى ، وكان يجرى تجاربه على الحيوافات ليختبر تأثير
الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته عليها *

كما وأنه يعتبر أول من وضع طريقة العلاج بالمشاهدة *

وهو أول من عرف الحصبة والجدرى ، وأول من فكر فى
العلاج النفسى ...

واعترف الغرب باسهامه العلمى ، وخصصت له جامعة
« بريستون » الأمريكية أكبر جناح فى أجمل بناء لعرض مآثر
الطبيب المسلم أبى بكر الرازى ..

كما وأن المسلمين هم أول واضعى علم الطبيعة بعد أن عرفوا كثيرا من النباتات الطبية...»

ويعد أبو القاسم - طبيب القصر الملكى فى قرطبة - من الأطباء النابغين ، وقد ألف كتباً فى الجراحة والتوليد .

وتولى المسلمون حماية التراث الحضارى للأمم السابقة ، ونقلوا للغرب فلسفات اليونان ، ودراساتهم ، وأبحاثهم ، واسهامهم الحضارى . ولولا المسلمون لما عرفت أوروبا المعاصرة شيئاً عن تراث اليونان والفرس والرومان ، ولما قامت حضارتها التى كان للمسلمين دور كبير فى قيامها كما يقر بذلك جوستاف لوبون ويقول :

« ان القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة العرب ، وان العرب هم الذين مدينوا أوروبا ، ولا تزال عناصر مدنية العرب ، وهى الدين ، واللسان ، والقانون حية ، فالعرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر ، مع استقامة الدين » .

ولعلنا لا نحتاج الى دليل على أن الحضارة الاسلامية التى قامت عليها وعلى ما نقلتها حضارة الغرب المعاصرة لم تكن لتزدهر لولا مبادئ الاسلام السامية ، وتكريمه للعلم والعلماء .

كما وأن الاسلام وهو دين الله الذى فطر الناس عليه راعى فى اسهامه الحضارى الجانب المادى والجانب الروحى ، فقامت الحضارة الاسلامية انسانية فى غايتها ، مثالية فى

أخلاقها ومعاملاتها ، واضحة نصب عينها سعادة الانسان
روحا ، ونفسا ، وجسما ، محققة له آماله دنيا وأخرى .
وقد شهد بهذا كثير من علماء الغرب منهم المستشرق
فوريسون الذى قال :

« ان الحق الذى لا يمارى فيه أحد أن الاسلام أكثر
من معتقد ودين ، وهو نظام اجتماعى تام الجهاز ، وحضارة
كاملة النسيج ، لها فلسفتها ، وتهذيبها ، وفنونها » .
ولم يكن لهذا النظام الاجتماعى والحضارة الكاملة النسيج
لتتحقق الا برحمة من الله وفضل . . .

ولم يكن لهذا الشتات من القلوب أن تأتلف الا بهدى
من نبي الرحمة الذى ظل يقوم المعوج ويهذى الضال حتى
آخر لحظة من لحظات حياته . . .

ولا أدل على هذه المنة الربانية من خروجه الى الأنصار
لما سمع بخشيتهم من موته فى مرضه الذى لحق فيه
بالرفيق الأعلى .

. . . لقد خرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على بن
أبى طالب والفضل والعباس أمامه يخط برجليه ، وهو معصوب
الرأس وجلس أسفل مرقاة فى المنبر ، فثار الناس اليه ، فحمد الله
وأثنى عليه وقال :

« أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم . . .
هل خلد نبي قبلى فيمن بعث اليه فأخلد فيكم . . . ألا وانى

لاحق بربى ، فأوصيكم بالمهاجرين خيرا ... وأوصى المهاجرين
فيما بينهم بخير » .

... ومضى نبى الرحمة وهو يعانى من مرضه يوصى
المهاجرين بالأفصار ويقول : « وأوصيكم بالأفصار خيرا ..
فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم » ..
... وظل يعدد مآثرهم ويقول : « ألم يشاطروكم فى
الشار ألم يوسعوا عليكم فى الديار ... ألم يؤثروكم على
أنفسهم وبهم خصاصة » .

وأوصى المسلمين وصية ان اقتندوا بها سعدوا فى دنياهم
ونعموا بما يجريه ربهم من خير على أيدي أئمتهم وقال :
« يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم ، فاذا بر الناس
برتهم أئمتهم ... واذا فجر الناس عتى أئمتهم » .

رحمة الله للعالمين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين
انسهم وجنهم .. زرعهم وضرعهم ... دوابهم وهوامهم
وطيرهم .

ولقد تناولنا رحمته صلى الله عليه وسلم بالانسان
... ورأينا كيف تجلت هذه الرحمة لما دعا الناس
أجمعين فى مشارق الأرض ومغاربها الى خير دين ، ولهم يفرق
فى دعوته بين جنس وجنس .. ولون ولون .
وأرسل رسله الى مشارق الجزيرة العربية ومغاربها

يدعون الناس الى عبادة الله الواحد القهار ***
ودعا الأكاسرة والقيصرة ، ودعا المستضعفين في الأرض ،
والأمراء والملوك ، ودعا العرب والعجم .*

أرسل صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الى قيصر
ملك الروم ، وأرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك
 الحبشة ، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس ملك
 الاسكندرية ، وأرسل عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعياد
 ملكي عمان ، وأرسل سليط بن عمر الى ثمامة وهوذة ملكي
 اليمامة ، وأرسل العلاء بن الحضرمي الى ملك البحرين ،
 وأرسل شجاع بن وهب الى ملك تخوم الشام ، وأرسل
 أبي أمية المخزومي الى ملك اليمن .*

لقد تغمدت رحمته التي بعنه الله بها الناس عامة ، فحذرهم
 من العذاب ان أشركوا بربهم وخالفوه فيما أمرهم به ، وصور
 لهم نار جهنم وكان شهيقها وزفيرها يطن في آذانهم وقال :
 « ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
 قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله *** قال : فإنها
 فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » (٦٣) .

وبين للناس طعامها وشرابها حتى يتقوها بصالح العمل
 وقال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت
 على أهل الدنيا ، فكيف بمن يكون طعامه » (٦٤) .*

(٦٣) أخرجه مالك والشيخان والترمذي .

(٦٤) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم والترمذي .

وحتى لا تأتي الناس الساعة بغتة وهم في لهوهم وغيهم
وضلالهم ، وحتى لا يندموا على ما فاتهم يوم لا ينفع الندم ،
حدثهم بأماراتها حتى يكونوا على بينة منها وقال :

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة
كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום ، واليوم
كالساعة ، والساعة كالضربة من النار » (٦٥) .

وكانت عيناه تذرفان رحمة بأتباعه ، اذا تليت آية تبين
شهادته لأن الشاهد لا يخفى النقائص ، وما ذلك الا رحمة
بأمته من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

... عن أبي مسعود رضى الله عنه قال ... قال لى النبى
صلى الله عليه وسلم : « اقرأ على القرآن » ... فقلت : يا رسول
الله ... اقرأ عليك ... عليك أنزل ؟ قال : « انى أحب أن
أسمعه من غيرى » ... فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت
الى هذه الآية : ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا ﴾ . فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان (٦٦) ...

وكان من رحمته بالناس أن وصف لهم الجنة وقصورها ...
وحورها ... وأنهارها حتى يعمل لها العاملون ... وحتى
يقوموا الليل .. ويصوموا النهار ... ويبدلوا جهدهم
ليفوزوا بها .. وينعموا بشمارها ... وظلالها .. وولداها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول
الله ... الجنة : ما بناؤها ؟ قال : لبنة من فضة ، ولبنة من

(٦٥) أخرجه أحمد وترمذى . (٦٦) متفق عليه .

ذهب ، ملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ،
وترابها الزعفران . من يدخلها ينعم ولا يبؤس ، ويخلد
ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم . . . الحديث (٦٧) .
ثم بين لهم أن الايمان بالله والعمل الصالح يعنى السيادة
فى الأرض ، والأمن فى النفس والمال والدين . . .
وأوصاهم بالالتزام بما أمرهم به ربهم ليتحقق فيهم وعده
الذى وعدهم به فى قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى
لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم
الفاسقون » (٦٨) .

ثم كان من رحمته التى تغشت أمته منذ بعثه حتى قيام
الساعة أن بين لهم مكاتبتهم ومنزلتهم عند عدوهم ان جاهدوا
لأعلاء كلمة الله ، ونصر دينه ، وهوان أمرهم ان ركنوا الى
الحياة الدنيا وآثروها على الآخرة وهان عليهم دينهم .
وبين كل آتونة وحين ترى أمة الاسلام حديثه ماثلا
أمامهم ان أغمضوا أعينهم ولو للحظات عن الجهاد ، ورأوا الذلة
والهوان ينزل عليهم تصديقا لما حدثهم به وقال :
« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة

(٦٧) أخرجه أحمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى .

(٦٨) النور : ٥٥

الى قصعتها • قالوا : أو من قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا •
والذى نفسى بيده انكم يومئذ لكثير ولكنكم كفاء السيل ،
ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليجعلن فى قلوبكم
الوهن • قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا
وكرهة الموت « (٦٩) » •

رحمة الله للعالمين والشفاعة :

ووسعت رحمته صلى الله عليه وسلم المذنبين من أتباعه ،
وادخر دعوته شفاعة الأمتة يوم الفزع الأكبر الذى وصف
هوله رب العزة والجلال فى كتابه الكريم •
قال تعالى : ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ﴾ (٧٠) •

فى هذا اليوم العصيب يشفع نبى الرحمة الأمتة ، كما حدثنا
بذلك وقال : « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى
دعوته ، وانى أختبئ دعوتى شفاعة الأمتى يوم القيامة ، فهى
نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله
شيئا » (٧١) •

رحمة الله للعالمين والجن :

ولقد نالت الجن حظا من رحمته لما استمعوا اليه صلى
الله عليه وسلم يتلو آيات ربه ، وذهبوا الى قومهم يلعبونهم الى
كتاب ربهم وهدى نبيهم ، فأمن به من آمن ، وكفر من كفر •

(٧٠) الحج : ٢

(٦٩) أخرجه أبو داود •

(٧١) أخرجه الشيخان •

قال تعالى : ﴿ واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين • قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾ (٧٢) •
رحمة الله للعالمين وعالم الحيوان :

ولم يكن الحيوان بأقل حظا فى رحمته من الانس والجن ، فقد رحم الحيوان وأوصى بالرفق به فى الحضر والسفر وقال : « اذا سافرتهم فى الخصب فأعطوا الابل حظها من الأرض ، واذا سافرتهم فى الجذب ، فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها ، واذا عرستم (٧٣) فاجتنبوا الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل » (٧٤) •

ولعلنا لو تدبرنا أمر الجمل الذى شكى صاحبه الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمنا مدى رحمته التى أنعم الله بها على العالمين ، فنال كل من فى الوجود حظه منها حتى ولو كان حيوانا لا يعقل ، ولا ينطق ، الا أنه بدافع غريزته التى يعرف بها الماء والطعام فيشرب ويأكل : أحس بهذه الرحمة •
 عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : أردفنى رسول

(٧٣) نزلتم بالليل •

(٧٢) الاحقاف : ٢٩ - ٣٢

(٧٤) رواد مسلم •

الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأسر الى حديثا لا أحدث به
 أحدا من الناس ، وكان أحب ما استتر به النبي صلى الله عليه
 وسلم لحاجته هدفا (٧٥) أو حايش (٧٦) نخل فدخل حائطا من
 الأنصار ، فاذا فيه جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم
 حن وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح
 ذفره (٧٧) فسكت ، فقال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا
 الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لى يا رسول الله . فقال :
 أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك اياها فانه شكا الى
 أنك تجيعه وتدئبه » (٧٨) .

وكانت العرب تقطع أسنمة الابل وهى حية ، وكانت تعدها
 أحسن طعامها ، فنهاهم عنها وقال فى حديثه الشريف :
 « ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة » (٧٩) .

ومن رحمته وصاياه لأصحابه رضوان الله عليهم بأن
 يحسنوا الذبحة ، ويحدوا الشفرة دون أن تراها البهيمة .
 عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أضجع شاة ،
 وهو يحد شفرته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتريد
 أن تميتها موتتين . هلا أهددت شفرتك قبل أن تضعها » (٨٠) .
 وكما نرى اليوم « مصارعة الثيران » رياضة محببة

(٧٥) بناء مرتفع .

(٧٦) النخيل المجمعة المتقاربة .

(٧٧) العظم الذى خلف الأذن .

(٧٨) ترهقه . (٧٩) رواه احمد وأبو داود .

(٨٠) رواه الطبرانى والحاكم .

لنفوس أقفرت من الرحمة ، وقلوب أجذبت من الرفق ، فهللت ،
وصفقت لمصارع يردى حيوانا أمام أعينهم قتيلا • ورأت بعين
القسوة دماء تنزف في ميدان المصارعة نصرا مينا •

كذلك كانت العرب قبل بعث نبينا صلى الله عليه وسلم
تفعل بالحيوان والطير حتى نهاها عن هذه القسوة التي دلت على
قلوب سكنها الشيطان لما غفلت عن ذكر الرحمن
لقد نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه العادة
كما حدثنا ابن عباس رضى الله عنه وقال :

« فهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين
البهائم » (٨١) •

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القسوة في
معاملة الحيوان ، وإهماله شأنه في طعامه وشرابه ، يورد
صاحبه موارد الهلاك ، وقال :

« عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها
النار ، لا هى أطعمتها وسقيتها اذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من
خشاش الأرض » (٨٢) •

كما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العبد
المسلم ان أحسن لحيوان فأطعمه أو سقاه أنعم الله عليه
برضاه يوم يلقاه ••• وقال :

« بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب

(٨١) رواه أبو داود والترمذى •

(٨٢) متفق عليه •

منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ...
فقال :

« لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملا خفه ثم أمسكه
بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له .. قالوا : يا رسول
الله .. وان لنا فى البهائم أجرا ؟ .. فقال : فى كل ذات كبد
رطبة أجر » (٨٣) .

وقد كان للطير حظ من رحمته صلى الله عليه وسلم ، لذا
أوصى الصحابة رضوان الله عليهم بالرفق ... وأبى على
العبد المسلم أن يعذب بالطير حتى يهلكه وقال : « من قتل
عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول : يا رب ان فلانا
قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة » (٨٤) .

وقد اتبع الصحابة رضوان الله عليهم سنته واهتدت
بهديه ، وانهت عن العبث بالطير وكافت نهى صغارها عن العبث
بالطير كما فعل ابن عمر رضى الله عنهما عندما مر بفتيان من
قريش وقد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير
كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر :
من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا (٨٥) .
ولعل ما يجسم رحمته أمامنا حتى نكاد نلمسها بأيدينا هو

(٨٣) أخرجه البخارى .

(٨٤) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٨٥) متفق عليه .

ما حدثنا به ابن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة^(١٦) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تعرش^(١٧) فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من فجع هذه بولديها ؟! ردوا ولديها اليها » •

ورأى قرية نمل حرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن • قال : لا يحرق بالنار الا رب النار^(١٨) •

حقا يا رسول الله « لا يحرق بالنار الا رب النار » وما كان للصحابة رضوان الله عليهم الا أن يهيموا في أنوار رحمك فيرحموا كما هديتهم كل ذى كبد رطبة •

وصدق الله الرحمن الرحيم الذى قال في كتابه الكريم « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » •

لقد رحمت يا نبي الرحمة الكون كله انسه وجنه ، زرعه وضرعه وطيره •

ورحمت برحمة من الله من صاحبك ومن عاداك ، ومن اتبعك واهتدى بهداك •

وكما رحمت يا رسول الله من اقتدى بقدوتك ، واستن بسنتك في دنيائك ، ادخرت لهم الشفاعة يوم يلقونك في أخراك • • فأنت يا رسول الله في ظهر الغيب رحمة وفي الدنيا رحمة وفي الآخرة رحمة •

(١٧) كأنها تبني عشا

(١٦) طائر أحمر اللون •

(١٨) رواه أبو داود •

الطبعة الأولى ١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ

التميز ٢٠٠

Bibliotheca Alexandrina



0289666